أحمد شوقي

مجنون ليلى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

مجنون ليلى

أحمد شوقي

مجنون ليلى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٢

تمهيد

زمن الرواية :

صدر الدولة الأموية

مكان الرواية :

بادية نجد

أشخاص الرواية :

قيس — مجنون ليلى

ليلى

المهدى — أبو ليلى

ورد — زوج ليلى

ابن عوف — أمير الصدقات فى الحجاز وعامل من عمال بنى أمية

زياد — راوية قيس وصديقه

منازل — غريم قيس فى حب ليلى

بشر — رجل من بنى عامر

ابن ذريح — شاعر من شعراء الحجاز
نصيب — كاتب ابن عوف
سعد — رجل من بنى عامر
الغريض — مغن مشهور
ابن سعيد — شاعر
أمية — رفيق ابن سعيد
الأموى — شيطان قيس

عضرفوت
هبيد
عسر
عاصف
} شياطين

بلهاء — جارية قيس
عفراء — جارية ليلى

سلمى
هند
عبلة
} فتيات من بنى عامر

رجال — قوافل — حداة — صبية — فتيات

الفصل الأول

« ساحة أمام خيام المهدى فى حى بنى عامر ـ مجلس من مجالس السمر في هذه الساحة ـ فتية وفتيات من الحى يسمرون فى أوائل الليل ، وفى أيدى الفتيات صوف ومغازل يلهون بها وهم يتحدثون ـ تخرج ليلى من خيام أبيها عند ارتفاع الستار ويدها فى يد ابن ذريح »

« ليــلى »

دعى الغزْلَ سلمى وحَيِّي معى   منارَ الحِجازِ فتى يَثْرِبِ [1]

« تصافحه سلمى »

وياهِنْدُ هــذا أديبُ الحِجاز   هلمِّي بمَقــــدَمِهِ رَحِّبي

« تصافحه هند ويحتفى به السامرون »

« ســعد »

أمن يثربٍ أنت آتٍ ؟

« ابن دريح »

أجل   من البلدِ القُدُس الطيِّب

---

(١) يثرب ـ المدينة المنورة

« ليلى »

أيابنَ ذَريحٍ لقينا الغمام

« هند »

وطافَتْ بنا نَفَحاتُ النبي

« عبلة — هامسة إلى سعد »

مَن ابنُ ذَريحٍ ؟

« سعد »

فتًى ذِكرُه على مَشرِق الشمس والمغرب
رَضيعُ الحُسَيْنِ عليه السلامُ وتِرْبُ الحُسَيْن من المكتبِ

« عبلة — الى بشر ومشيرة الى ابن ذريح »

أتسمَعُ بشرُ رضيعُ الُحسَيْنِ فديْتُ الرضيعيْن والمُرضِعهْ
وأنت إذا ما ذكرنا الحسينَ تصاممتَ !

« بشر — هامسا ومتلفتا كأنما يخشى أن يسمعه أحد »

لا جاهلاً مَوْضِعَهْ
ولكن أخاف امرأً أن يرى عليَّ التشيُّع أو يَسمعَه
أُحِبُّ الحسينَ ولكنما لسانى عليه وقلبى معه !

حَبَسْتُ لسانىَ عن مدحه حِذارَ أُميَّةَ أن تقطعَه
إذا الفتنةُ اضطرمتْ فى البلاد ورُمْتَ النجاةَ فكُن إِمَّعَه !

« ليلى »

إبنَ ذريحٍ نحن في عزْلةٍ فهل على مُستفهِمٍ منك باسْ ؟

دارُ النبيِّ كيف خلفتَها ؟ كيف تركتَ الأمرَ فيها يُساسْ

« ابن ذريح »

تركتُها ياليــــلَ مَضبوطةً يحكُمُها والٍ شـديدُ المراسْ
إن حديثَ الناس فى يثربٍ همسٌ وخطوَ الناس فيها احتراس

« ليــلى »

إبنَ ذريح لا تجُرْ واقتصِدْ أحلامُ مرْوانَ جبالٌ رَواسْ
يؤسِّسُون المُلْكَ فى بيتهم والعُنْفُ والشدةُ عند الأساس

« تتضاحك الفتيات وتقول إحداهن لأخرى »

« فتاة »

ليــــلى على دينِ قيسٍ فحيثُ مــــال تميـــلُ ؟
وكلُّ ماسرَّ قيســـا فعنـــد ليـــلى جميـــلُ

« ابن ذريح »

مــــا الذى أضحـــك مـــنى الظَّبيـــاتِ العـــامريّةْ
ألأنى أنا شِيعِـىٌّ وليـــلى أمـــويّةْ ؟
إختلافُ الرأى لا يُفْـــسِــدُ للود قضيـــــه

«ليــلى»

أعِرْنى سماعَك يابنَ ذريحٍ ولا تسمَعِ الطفــلةَ الهــاذيةْ
أتيْتَ لنـا اليومَ من يثربٍ فكيف ترى عالَمَ البـاديه
أكنتَ من الدور أو فى القصور ترى هـذه القُبّـةَ الصـافيه ؟
كأن النجومَ على صدرهـا قلائدُ ماسٍ على غـانيـه

« هند »

كفى يابنةَ الخال ! هذا الحريرُ كثيرٌ على الرِّمَّة الباليه
تأمَّلْ تر البيدَ يابن ذريح كمقبرةٍ وحشةٍ خاويه
سئمنا من البيد يابن ذريح ومن هذه العيشة الجافيه
ومن مُوقدِ النار فى مَوْضعٍ ومن حالب الشاة فى ناحيه
وراغيةٍ من وراء الخيام تُجيبُ من الكلأ الثاغية (١)
وأنتم بيثربَ أو بالعراق أوِ الشام فى الغُرَفِ العاليه
مُغنّيكمو معبدٌ والغريضُ وقيْنتُنا الضَّبُعُ العاويه
وقد تأكلون فُنونَ الطُّهاةِ ونأكل ماطهتِ الماشيه

« ليلى »

قد اعتسفتْ هندُ يابنَ ذريحٍ وكانت على مهدها قاسيه
فما البيد الا ديارُ الكرامِ ومنزلةُ الذِّمَم الوافيه
لها قُبلةُ الشمس عند البزوغ وللحضرِ القبلةُ الثانيه
ونحن الرياحينُ مِلْءَ الفضاء وهنَّ الرياحينُ فى الآنيه
ويقتلُنا العشقُ والحاضراتُ يقُمْنَ من العشق فى عافيه
ولم نصطدِم بهموم الحياة ولم ندرِ — لولا الهوى — ماهيه
وآنا نخف لصَيْد الظباء وآنا الى الأسد الضاريه

«هند — ساخرة »

وفى كل ناحيةٍ شاعرٌ يغنِّى بليلاهُ أو راويه

---

(١) الراغية : الناقة والثاغية : الشاة

« تحاول ليلى أن تمد رجلها فتتألم وتستغيث »

« ليلى »

قيسُ ، إليَّ قيس

« هند »

ما دهاك ليلى ما الخبرْ

« ليلى »

أُحس رجلى خدِرت حتى كأنها الحَجَرْ

« هند »

قد صحتِ قيسُ مرتين

« ليلى »

أو ثلاثاً ما الضرر

« هند ـ متهكمة »

إسم الحبيبِ عندنا نذكره عند الخدر

« ليلى »

هند كفى دعابة إن هو الا اسمٌ حضر

« لنفسها »

يا قيسُ ناجىَ باسمك القلبُ اللسان فعثَر

« عبلة ـ ضجرة »

أما سوى هذا الحديثِ شاغلُ ؟ كيف ظللْتَ اليومَ يا منازلُ ؟

« منازل ـ ضاحكا »

منازلُ اليومَ كأمس هازلُ يشرَبُ أو يطعَمُ أو يغازلُ !

« هند »

بخٍ ! كذا فلتكنِ الحياةُ مُت يابعيرُ وانفقى ياشاةُ
انغمست فى الترف الرعاةُ !

«ليلى»

وكيف ظللت اليوم سعدُ ؟ أهازلٌ كثير بك أم فى صالحٍ ورشادِ !

« سعد »

بل الجدُّ ياليلى سبيلى وديدنى حياتى بِوادٍ والمجُونُ بواد
صحبتُ زيادا طول يومى تلقفا لأشعار قيسٍ من لسان زياد
وإن زيادا ــ منذ كان ــ لرائحٌ علينا بشعر العامرىّ وغاد
ولولا زيادٌ ما تمثّل حاضرٌ بأشعار قيسٍ أو ترنم باد

« يبدو على ليلى شىء من الزهو فتهامس الفتيات »

« سلمى »

انظرى هند ترىْ ليلى اكتست زهواً وكبرا
وتعالت كابنةِ النعمان أو كابنة كسرى !

« هند »

لِمَ لاسلمى ، ألم يرفَعْ لها المجنونُ ذكرا؟

« عبلة »

لِمْ إذن ياهند من قيسٍ ومما قال تبرا ؟

هند

عَبَثُ النِّسوةِ ! إنا نحن بالنسوة أدرى !

« سلمى »

سلوا الآن بشرا فيم أنفق يومه ؟

« أصوات »

سلوه

« هند »

سلي يا ليل عن يومه بشرا

« ليلى »

وهل يومه الا شؤون كأمسه من الصيد؟

« هند »

إن الصيد لذته الكبرى

« بشر »

نعم هو ملهاي الذى لا أمله ولا النفس تعطى عن تناوله صبرا

ولو كان عيشى فى قصور أمية لعلمت فن الصيد فتيانها الزهرا

وما أنا صياد الأرانب مثلهم ولكن على حياته أبلج القفرا

« ليلى »

إذن هات واصدق بشر فى القول مرة

ولا تخترع أو تبن من حجر قصرا !

« بشر »

دعى عنك هذا السخر ياليل واسمعى

« ليلى »

تحدث فلا والله لم أضمر السخرا

« بشر »

بكَرتُ كدأبى اليومَ أبغى قنيصةً

ومَن يتصيّدْ يحسبِ الغُنْمَ والخُسرا

(رأيت غزالا يرتعى وَسْطَ روضة

فقلت أرى ليلى تراءتْ لناظُرها) (١)

« هند ــ مشيرة الى ليلى »

وأىَّ الليالى بشرُ آنست ؟ هــذه

« بشر »

إذا شئتِ ــ أو هاتيكِ ــ أوحُرةً أخرى

فقلتُ له ياظبىُ لا تخشَ حادثا

(فانك لى جارٌ ولا ترهب الدهرا)

(فما راعنى الا وذئبٌ قــد انتحى

فأعلق فى أحشائه النابَ وَالظفُرا)

(ففوّقتُ سهمى فى كَتومٍ غمستُها

فخالط سهمى مهجةَ الذئبِ والنحرا)

« ليلى ضاحكة »

أخى بشرُ لا شُلّتْ يمينُك من يدٍ

ولا فَضَّ فاكَ الصبحُ والليلُ ما كرّا

(١) الأبيات التى بين الأقواس من شعر المجنون

سمعنا بإقدام اللصوص وفتكهم
فلم نر أدهى منك فتكا ولا أجرا !
ووالله لم تغضب لظبي ولم تثب
بذئب ولم تُعمِلْ خيالا ولا فكرا
أخذتَ فلم تترك لقيسٍ بضاعةً
سرقتَ لَعمرى الظبيَ والذئبَ والشعرا !

« ضحك من الجميع »

حديثُ الظبيِ والذئبِ وقيسٍ لستُ أنساه
زيادٌ عنه نبّأنى ولا ينبيك إلّاه
رأى قيسٌ على رابيـــة ظبيا فناداه
فألقى الظـبيُ أذْنيهِ ومسّ الأرضَ قرناه

« ثم تقول فى لوعة وصوت مخفوض وكأنما تحدث نفسها »

برُوحى قيسُ! هل راحت ظباء القاع تهواه ؟
وهل يَرثى له الريمُ ولا أرثى لبلواه ؟

« تسترسل فى حديثها الأول : »

على فيه من العُشْبِ بقايا صبغت فاه
رأى فى جيده قيسٌ وفى عينيه ليلاه
فبينا هو فى الشوقِ وفى نشوة ذكراه
حبا الذئبُ من الوادى الى الظبي فأرداه

تغدى بحشا الظبى غـــــداء ماتهناه
رماه قيس فى المقتـل بالسهم فأصماه

« بشر : مندفعا بحماسة ! »

أجل يا ليلَ ! ما قلتِ سوى شيء شهدناه
وإن لم تذكرى القبرَ ولا كيف خططناه
حفرنا القبرَ للظبىِ وقمنا فدفناه
وصلَّينا على الميْتِ وبالدمع سقيناه
فقولوا ولتقل ليلى معى يرحُمه الله !

« أصوات : بين الضحك والسخرية »

أجل بشرُ !

أجل بشرُ !

أجل يرحمــــــه الله !

« ابن ذريح »

بشرُ كفى هزلا وتخليطا كفى ويابنةَ العم مضى الليلُ سُدى
أرسلنى قيسُ فلو أخبرتنى متى متى بأمر قيسٍ يُعتنى ؟
بتنا تخافُ أن يجلّ خطبهُ وتبلغَ البلوى بقيسٍ المَدى
وقيسُ ياليلى وإن لم تجهلى زين الشباب وابنُ سيد الحى
لم ندرِ فى حيّك أو فى حيّه فتى حكاه نسبا ولا غنى
ولا جمالا ، وهنا (ياليلَ) ما ترينَ أنتِ لا الذى نحن نرى

« بشر ــ ساخرا »

بخٍ بخٍ ! إبنُ ذريح خاطبٌ

« ابن ذريح »

أسكت فلست للمروءات أخا !

« ليلى ــ غاضبة »

فيم هذا الكلامُ يا بنَ ذريحٍ ؟

« ابن ذريح »

إتقى اللهَ واقصدِى فى التجنى

« ليلى »

ما تجنّيت

« ابن ذريح »

بل ظلمت ، دعينى أُحسنِ الذّودَ عن صديقى وخِلى

« ليلى »

أنا أَوْلى به وأحنى عليــــه لو يُداوَى برحمتى والتحنّى
يعلمُ الله وحــده ما لقيس من هوًى فى جوانحى مستكِن
إننى فى الهوى وقيسا ســواء دَنِفٌ قيس من الصبابة دَنْفى
أنا بين اثنتين كلتاهما النا ر فلا تَلْحَنى ولكن أعِنّى
بين حرصى على قَداسه عرضى واحتفاظى بمن أُحبُّ وضنى
صفتُ منذ الحداثة الحبَّ جَهدى وهو مستهترُ الهوى لم يَصُنّى

قد تغنى بليلة الغَيْــل ، ماذا كان بالغيل بين قيس و بينى ؟
كل ما بيننا ســلامٌ وردٌّ بين عين من الرفاق وأُذن
وتبسَّمتُ فى الطريق إليه ومضى شأنه وسرتُ لشأنى

« تهيب بالسامرين وقد بلغ بها الغضب أقصاه »

أوْغل الليلُ فلنقمْ

« ابن ذريح — متوسلا »

بل رويدا واسمعى (ليلَ)

« ليــلى »

خلِّ عنِّىَ دعنى !

« تدخل خباءها بينما ينفض السامرون فلا يتثاقل منهم فى القيام »
« الا منازل — الهرج والأسف يسودان الجميع »

« بشر »

انفضَّ سامرُ ليـــــلى وكان حَفْـــــلا كريما

« ســعد »

قـــــد فَضَّه ابنُ ذريح ففض عِقــــدا نظيما
أثار ليـــــلى فهاجت كما تنفَّر رِيمـــا
ترى أتُبغِضُ قيسا

« ابن ذريح »

لا تقلبـــــوا الحبَّ بغضا
ليـــــلى العشيةَ عضبى ويُصبح الصبحُ ترضى

« سـعد »

آنعم (مُنـازِ) مساءً

« منـازل »

نعمت سعـدُ مسـاء

« هنـد »

بشرُ مُسّيتَ بخـيرِ

« بشر »

أنعمى هنـدُ مساء

« هنـد »

نحن يحوينـا طريقٌ فامض يلّغنى الخِبـاء

« سـعد ـ ضاحكا »

احذرى يا هنـد منـه !

« هنـد »

أنا لا أخشى اعتداء

قد عرفتم وعرفنـا كيف يصطاد الظباء !

« تسمع ضحكاتهم من أقصى الطريق بينما يظهر »

« قيس وزياد من جانب المسرح الآخر »

« قيس »

سجا الليل حتى هاج لى الشعرَ والهوى

وما البيدُ الا الليلُ والشعرُ والحبُّ

ملأتُ سماءَ البيدِ عشقاً وأرضَها
وحُمِّلتُ وحدى ذلك العشقَ يارَبُّ

أَلَمَّ على أبياتِ ليلى بى الهوى
وما غيرَ أشواقى دليلٌ ولا رَكْبُ

وباتت خيامى خُطوة من خيامِها
فلم يَشْفِنى منها جوار ولا قرب

إذا طاف قلبى حولها جُنّ شوقُه
كذلك يُطفِى الغُلّةَ المنهلُ العذب

يحن إذا شطّت ويصبو إذا دنت
فياويح قلبى كم يحن وكم يصبو

وأرسلنى أهلى وقالوا امض فالتمس
لنا قبسا من أهل ليلى وما شبّوا

عفا الله عن ليلى لقد نوّتُ بالذى
تحمّلَ من ليلى ومن نارها القلب

« منازل — وقد سمع همهمة الصوت ورأي شبحيهما في الظلام »

أرى شبحا مقبلا فى الظلام وأسمع همهمة فى الدجى
هو ابن الملوّحِ دلّ الهُزالُ عليه ونمّ اضطراب الخُطا
عدوّى المبين وما بيننا ولا بين صاغيتَيْنا [1] جفا
روى شعرَه البدو والحاضرون وشعريَ ليس له من روى

---

(١) صاغية الرجل قومه

وهـــام بليــلى وهامت به   لقد كنت أولى بهذا الهوى
تشرّد مستعظَمــا فى البلاد   وجُنّ فما ازداد الا نُهى
وإنى لأُبديــه اليــه الوداد   وأخفى له فى الضلوع القِلى
وأحسُدُه حسدا ما علمت   أقيسُ الشقىُّ به أم أنا

« يتقدم منهما خطوات »

من الراكبُ الليلَ ؟ قيسٌ أخى ؟

« قيس »

منـــازل ؟ ما أعجبَ الملتقى !

« منازل »

أقيساً أرى فى ظلال البيوت ؟   وعهديــ بقيس حليفَ الفلا

« قيس »

منازل ، من أين ؟

« منـــازل »

من عندِها   من السمر الممتع المشتهى

« قيس : حنقا »

أمن عنــد ليــلى تجرُّ الذيول   حديث لَعمرُ أبى مفــترى

« منـــازل »

بل الصدقُ ماقلتُ يابن الملوَّح

« قيس »

إخسأ متى قلت صــدقا متى ؟

وما كنت تصنع ؟

« منازل ساخرا »

ما يصنعون لموت لعمرىَ فيمن لها
وسامر ليلى كثير الزِّحام فلست تعدُّ شباب الحِمى
وليلى تُفيضُ على من تشاء رضاها وتحرمُه من تشا

« زياد مغضبا »

منازل، قيسُ، سبيلكَ قيس ! وكِلْ لىَ تأديبَ هذا الفتى

« منازل ـ وقد أخذ بتلابيبه »

تؤدبُني زيادُ وأنت ظل لمجنون وراوية لهاذى
وتزعمُ أننى نِدٌّ لقيس رضيت من المصائب غيرَ هذى !

« زياد »

من قال ذا ؟ أنت لقيس نِدٌّ لم يبق فيك يا حياةُ جِد
إمض بنا ناحيةً يا وغد !

« يجره الى حيث تسمع أصواتهما من بعيد ثم تختفى »
« فيقبل قيس على خباء ليلى وينادى »

« قيس »

ليلى !

« المهدى : خارجا من الخباء »

من الهاتف الداعى ؟ أقيس أرى ؟ ماذا وقوفُك والفتيان قد ساروا

« قيس : خجلا »

ما كنتُ يا عمُّ فيهم

« المهدى : دهشا »

أين كنت إذن ؟

« قيس »

فى الدار حتى خلَتْ من نارنا الدار

ما كان من حطب جزْلٍ بساحتها أوْدى الرياحُ به والضيفُ والجار

« المهدى — مناديا »

ليلى — انتظر قيس — ليلى

« ليلى — من أقصى الخباء »

ما وراء أبى ؟

« المهدى »

هذا ابن عمِّك مافى بيتهم نار

« تظهر ليلى على باب الخباء »

« ليلى »

قيس ابن عمى عندنا يا مرحبا يا مرحبا

« قيس »

متِّعتِ ليلى بالحيا ة وبلغْت الأربا

« ليلى : تنادى جاريتها بينما يختفى أبوها فى الخباء »

عفراء

« عفراء ــ ملبية نداء مولاتها »

مولاتى

« ليــلى »

تعــــالَىْ نقضِ حقا وجبا

خــذى وعاء واملئيـــه لابن عمى حطبــا

« تخرج عفراء وتتبعها ليلى »

« قيس »

بالروح ليلى قضت لى حاجةً عرضت

ما ضرها لو قضت للقلب حاجاتِ

مضت لأبياتها ترتاد لى قبسا

والنار يا رُوحَ قيسٍ ملء أبياتى

كم جئتُ ليلى بأسباب ملفقة

ما كان أكثر أسبابى وعلاتى

« تدخل ليــلى »

« ليلى »

قيس

« قيس »

ليـــــلى بجانبى كلُّ شىء إذن حضرْ

« ليلى »

جمعتنا فأحسنت ساعـــةٌ تَفْضُلُ العمُرْ

« قيس »

أَتجِدّين ؟

« ليلى »

مافــــــؤا دى حديدٌ ولا حجر

لك قلبٌ فسله يا قيـــس ينْبِئْكَ بالخـبر

قدْ تحملتُ فى الهوى فوق ما يحمل البشر

« قيس »

لستُ ليـــلاى داريا كيف أشكو وأَنفجِر ؟

أشرح الشوقَ كله أم من الشوق أختصِر ؟

« ليلى »

نبّنِى قيسُ ما الذى لك فى البيد من وطر ؟

لك فيهـــا قصائدٌ جاوزَتْها الى الحضر

كلُّ ظـــبيٍ لقيته صُغت فى جيده الدرر

أتُرى قد سلوْتنـــا وعشقتَ المهَا الأُخر ؟

« قيس »

غرت ليـــلى من المهَا والمهـــا منك لم تَغَر

حبّب البيد أهـــا بكِ مصبوغَةُ الصُّوَر

لست كالغيـــدِ لاولا قمرُ البيـــد كالقمر

« ليلى : وقد رأت النار تكاد تصل الى كم قيس »

ويحَ عينىَّ ما أرى قيس !

« قيس »

ليلى

« ليلى : مشفقة »

خذ الحذر !.

« قيس : غير آبه الا لما كان فيه من نجوى »

رُبَّ فجر سألتُه هل تنفستِ فى السَحَر
ورياح حسِبتُها جرَّرَت ذيلَك العطر
وغزالٍ جفُونه سرقت عينكِ الحَوَر

« ليلى »

إطرح النارَ يافتى أنت غادٍ على خطر
لهبُ النار قيسُ فى كمك الأيمن انتشر

« قيس : مستمراً بعد أن رمى النار من يديه »

وذئابٍ أرقُّ ياليلَ من أهلِك الغُيُرْ
أنِستْ بى ومرّغت فى يدى الناب والظفُرْ

« ليلى »

ويح قيسٍ تحرقت راحتاه وما شَعَرْ

« قيس »

أنت أججتِ فى الحَشا لاعجَ الشوقِ فاستعَرْ

ثم تخشَيْنَ جمرةً تأكلُ الجلد والشَعَر

« يترنح قيس فى موقفه وتظهر عليه بوادر الاغماء »

« ليلى »

فِدَاكَ أبى قيس ، ماذا دَهاكَ ؟ تكلم ،أبنِ قيس ، ماذا تجد

« قيس »

أحسُّ بعينىّ قد غامتا وساقىّ لا تحمِلان الجسدْ

« يخر صريعاً الى الأرض فتتلقاه على صدرها صارخة »

« ليلى »

يا لأبى للجارْ قيسٌ صريعُ النارْ مُلقىً بصَحن الدارْ!

« يخرج أبوها من الخباء على صوت استغاثتها »

أبى ها أنت ذا جئت أغثنــا أبتى أدركْ
لقد حُرِّق بالنــارِ فما يصحــو إذا حُرِّك

« المهدى »

يرانا الناسُ ياليــلى

« ليلى »

أبى انفِ الناسَ من فكرك
هنــا لا تقعُ العينُ على غيرى ولا غيرك
ولا يَطْلُــع إنسانٌ عـلى سرى ولا سِرك
ولا أجدر من قيس باشــفاقك أو برك
أبى صــدرىَ لا يقوى فأســندْه الى صــدرك

« المهدى ــ وهو يتلقى عنها جسد قيس ويحاول إنعاشه »

رعاكِ اللهُ ياليلى وكافاكِ على صبرِكْ
أخافُ الناسَ في أمري وأخشى القلبَ في أمرِكْ
وكم داريتُ ياليلى وكم مهّدْتُ من عذرِكْ
ولستُ الوالدَ القاسي ولا الطامعَ في مهرِكْ

« يناجي قيسا في غيبوبته »

أبا المهديّ عوفيتَ ويا بورِكَ في عمرِكْ
أراني شعرُكَ الويلَ وما أروى سوى شعرِكْ
كما لذّ على الكُرهِ كلامُ اللهِ للمشركْ !

« يتحرك قيس ويبدو عليه كأنما يفيق فيناديه »

قيس

« قيس ــ يحاول الوقوف فتسنده ليلى »

لبّيكَ عمّ

« المهدى »

حسبُكَ فاذهبْ لاتطأْ لي بعد العشيّةِ دارا

« ليلى »

أبتِ لا تجُرْ على قيس

« المهدى »

لِمْ لا إن قيسا على القرابةِ جارا

« ليـلى »

أبتِ ما تراه كالفَنَن الذا وى نُحولا وكالمَغيب اصفرارا ؟

وتأمـلْ رداءه ويـديهْ تجدِ النـارَ أو ترَ الآثارا

أبتِ دَعْهُ يَسترحْ

« المهدى »

بل دعينا لا تزيدى ياليلَ سُخطى انفجارا

« قيس »

حسبُ يا ليلَ، حسبُ ذلا لعمّى وكـفى حِلفةً له واعتذارا

عمُّ ماذا جنيت ؟

« ليلى »

ماذا جنى قيس

« المهدى »

نسيتِ الرُّواةَ والأخبارا

« قيس »

إنهم يأفِكون يا عمّ

« المهدى »

والغَيـلُ أليلاً عشيتَه أم نهارا ؟

ما الذى كان ليلةَ الغَيْل حتى قلتَ فيها النّسيبَ والأشعارا ؟

« قيس »

لم تكنْ وحـدَها ولا كنتُ وحدى

إنما نحن فِتيـةٌ وعَذارى

جمعَتنا خمائلُ الغيل بالليل كما يجمعُ الحمى السُّمّارا
ليسَ غيرَ السلامِ ثم افترقنا ذهبتْ يمنةً وسرتُ يسارا

« المهدى »

إمض ياقيس إمض لاتكس ليلى كلَّ حينٍ فضيحةً وشنارا
فكأنى بقصة النار تُروى وكأنى بذلك الشعر سارا
وكأنى ارتديتُ فى الحى ذلا وتجللتُ فى القبائل عارا
إمض قيسُ امضِ

« قيس »

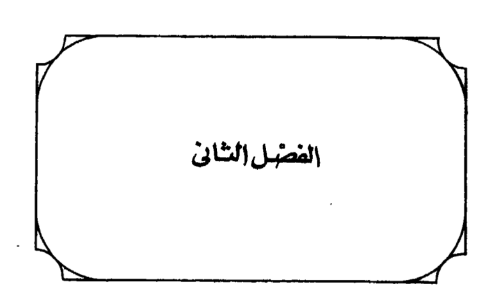
عمُّ رفقا بليلى وبقيسٍ ولا تكن جبارا
الحذارَ الحِذارَ من غضب الله ومن سُخطه الحذار الحذارا

« المهدى »

إمض قيس امض جئت تطلب ناراً
أم ترى جئتَ تُشعلُ البيتَ نارا ؟

« يخرج قيس »

ستار



الفصل الثانى

« طريق من طرق القوافل بين نجد ويثرب ، على مقربة من حى بني عامر حيث »
« تبدو مضارب هذا الحى على مدى البصر وعلى سفح جبل التوباد ــ قيس وزياد »
« جلوس الى جذع نخلة ، يستشرفان شبحا يسير نحوهما »

« قيس »

زيادُ ، ما تلك ؟ مَنِ الجُوَيْرِيَةْ ؟ أتلك (بلهاء) ؟

« زياد »

أجل قيس هيَهْ

« تظهر بلهاء وعلى رأسها قصعة »

« قيس »

بلهاءُ كيف الحيُّ ؟ كيف أُمَيَّه ؟

« بلهاء ــ وهى تضع القصعة »

تسأل عنكَ كما سألتَ

« تبدو على قيس كراهة للطعام وعزوف عنه »

« زياد »

بالله قيسٌ إلا أكلت

« يشتد ميل قيس عن الطعام »

« بلهاء هامسة لزياد »

زيادُ ما ذاق قيسٌ ولا همّا

« زياد »

طبخُ يدِ الأمِّ يا قيسُ ذُقْ مِمّا

الأمُّ يا قيسُ لا تطبُخُ السُّمّا

« ينزع عن القصعة غطاءها »

تعال تأمّلْ قيسُ، تلك ذبيحةٌ

« قيس »

عسى اليومَ نحرٌ

« زياد »

أين نحنُ من الأَضْحى ؟

« قيس »

أرى صُنعَ أمي يازيادُ ، فَدَيتُها بروحي وإن حمّلتُها الهمَّ والبَرْحا

ستخبرنا البلهاء

« زياد »

بلهاء بيِّني ولا تكتمي عنا الحديثَ ولا الشرحا

« بلهاء »

لقد مرّ عرّافُ اليمامةِ بالحمى فما راعنا الا زيارتُه صُبحا

طوى الحيَّ حتى جاء عن قيس سائلا وأظهرَ ماشاءَ المودّةَ والنُّصحا
ولاحت له شاةٌ جثومٌ بموضعٍ تخيّلها ظلا من الليل أو جُنحا
فقال اذبحوا هاتيك فالخير عندَها فقام اليها يافعٌ يُحسِنُ الذَّبحا
فقال انزعوا من جثّة الشاةِ قلبَها فلم نألُ قلبَ الشاة نزْعا ولا طرْحا
فلما شويناهــا رَقىَ بعزائمٍ عليها وألقى فى جوانبِها المِلْحا
وقال اطلبوا قيـًا فهـذا دواؤه كأنى به لمـا تناوله صَحّا

« زياد »

تعلّلْ قيسُ بالشـاة عساها تذهبُ الحبّا
فما العرّافُ بالجهو ل لا علماً ولا طبّا
ولم تَعلَمْ عليه البيد تدجيلا ولا كِذْبا
طبيبٌ جرّبَ اليابسَ فى الصحراءِ والرَّطْبا
فذقْ قيس ولا ترتبْ بما قال وما نَبَّا
وتلك الأمُّ ياقيــس أطِعْهـا تطِعِ الربّا

« قيس »

زياد اسمعْ وكن عونى وخلِّ اللومَ والعَتبا
إذا ما لم يكن بُدٌّ فإنى آكُلُ القلبا

« زياد »

قيسُ يبغى القلبَ يابلـــهاه أين القلب أينا ؟

« بلهاء »

هو عندي ويسيرٌ ما اشتهى قيسٌ علينا

هو في الشاة

« زياد »

هلمّي أخرجي القلبَ الينا

« بلهاء »

القلبُ ! أين القلبُ ؟أين يا ترى وضَعْتُه ؟

يا ويحَ لي ! نسيتُ أني بيدي نزعتُه !

« قيس »

وشاةٍ بلا قلبٍ يداوونني بها

وكيف يُداوي القلبَ من لاله قلب !

« تسير بلهاء الى الحي ويظهر صغار من ناحية الحي يلهون في طائفتين وإذ تقع »
« أبصارهم على قيس وزياد تتغنى كل طائفة بغناء »

« الطائفة الأولى »

قيسُ عُصفورَ البوادي وَهزارَ الرَّبَواتْ

طِرتَ من وادٍ لِوادي وغمرتَ الفلواتْ

إيهٍ يا شاعرَ نجدٍ ونجيَّ الظَّبَياتْ

أضمرِ الحبَّ وأبدِ لأعَفّ الفتَياتْ

« الطائفة الثانية »

قيسُ كشَّفتَ العذارى وانتهكتَ الحُرُماتْ

ودمَغْتَ الحيَّ عارا في السنينَ الغابراتْ

قد ذكرتَ الغَيْلَ دعوى واصطنعتَ الخلوَاتْ
صَليتْ ليلى ببلوى منك دون الفتياتْ !

« يلتقط قيس بضع حصوات من الأرض ويهم أن يحصب بها الصغار ثم يتردد »
« فينثر الحصا من يديه ، بينما يظهر من جانب الطريق الآخر ابن عوف وكاتبه نصيب »

« قيس : مناجيا نفسه »

قيسُ لا ! سامحْ صغارا لا يُحسُّون الخطيئه
إنهم فيما أتوْه ببَغاواتٌ بريئهْ
لقّنوها كلماتٍ نزهاتٍ أو بذيئه

« زياد : وهو يصرف الصغار »

إذهبوا عودوا الى آبائكم واذكروا قيسا بخير يا خُبُثْ
إذهبوا أوْحُوا الى أترابكم وليُبلِّغْ حَدَثاً منكم حَدَثْ
سيطْرَ الحبُّ على دنياكمو كلُّ شيء ما خلا الحبَّ عَبَثْ

« يجرى الصغار أمام زياد مضطربين ثم يختفون عن الأنظار ، بينما يستلقى قيس »
« على الأرض فى شبه إغماء »

« ابن عوف : الى نصيب وزياد يطارد الصغار »

انظرْ نُصيْبُ ضجةٌ وصبيةٌ ورجلٌ يرمى الصغار بالحصا

« نصيب »

أرى أميرى نشَأً تعلقوا بابن سبيلٍ مُتعَبٍ واهى القُوى

« ابن عوف »

بل امضِ سَلْ

« نصيب : معترضا زياد »

من الفتى ؟

« زياد : لنفسه وقد رأى ابن عوف »

ماذا أرى ؟ هذا أميرُ الصَّدَقات ههنا

« ثم يرد على نصيب »

قيسُ إمامُ العاشقين

« ابن عوف »

أيُّهم فهم كثير ، كل قيس بهوى

« زياد »

أجلْ ولكنّ الذي تُبْصِرهُ أرفعُهم ذكرا وأعلاهم سنى

« ابن عوف »

لعله قيسُ الذي نعرِفُه لقد رَوَيْتُ شعرَه فيمن رَوى

فأين ظلُّه زياد ؟

« زياد »

أنا ذا أنا الذي يتبعهُ حيثُ مشى

« ابن عوف »

أنت الذي تهدى لكلّ قريةٍ مُجاجةَ النحل ونفحةَ الرُّبا

ما بالُه يَطَأ الترابَ حافيا ويقطعُ البيدَ مُمَزّقَ الرِّدا

خُذ يا نُصَيْبُ بُردتى فغطِّه لا يلحقنَّه من العُرِي أذى

« زياد »

إحفظ عليك البُرْدَ يا أميرُ لا فقرَ اليه بابن سيد الحمى

إن لقيس من ثياب الوشْيِ ما يفْنى به العمر وما يُعيي البلى

« ابن عوف : مناجيا نفسه »

ياويحَ قلبى ما خلا من قسوةٍ ما بالُه رَقَّ لقيسٍ ورثى

« يقبل على قيس »

قيسُ بُنَيّ

« زياد »

هو فى إغماءة من وَجْده وما أظنُّه صحا

« يسمع صوت حاد من ناحية نجد ، ويتعالى الصوت قليلاقليلا حتى يظهر الحادى »
« ومن ورائه قافلة تسير الى المدينة ثم يذوب الصوت قليلا قليلا حتى ينقطع »

« أنشودة الحادى »

يا نجدُ خُذْ بالزمامْ ورحِّبِ
سرْ فى رِكاب الغمامْ ليثربِ
هذا الحُسَيْنُ الامامْ ابنُ النبى
النورُ فى البيد زادْ حتى غمَرْ
أُحْدُ الحيا فى الوهادْ أُحدُ القمر
أُحْدُ جَمالَ البوادْ زينَ الحضرْ
ابنَ النبى

« ابن عوف »

سمعتمو ؟ يالكِ من رنة حادٍ مُطرِبِ

« زياد »

يا ليت شعرى ما الركا ب مَنْ لواء الموْكب

« نصيب »

قد بيَّن الحادى فقل أصمٌّ أنت أم غبى ؟
هذا منارُ العرب هذا الحُسين ابنُ النبى
هذا الزكىُّ ابنُ الزكىِّ الطيِّبُ ابنُ الطيب
عارَضَنا الحسينُ فى طريقه ليثرب
هذا سنا جبينه ملْءُ الوهاد والرُّبى
قد جلَّ حاديه جلا لَ القارىء المطرِّب

« ابن عوف هامسا الى نصيب »

نصيبُ صه لا تسلكنْ بنا مسالكَ التُّهَمْ
ولا تَظاهرْ بالهوى لوارث البيت العَلَمْ
إحذرْ جواسيسَ ابن هندٍ وعيونَ ابن الحكَمْ
نحن رجالُ دُولةٍ قوَّامةٍ على الأمم
ليس بعينها عمًى ولا بأُذْنها صَمَمْ
تسمع فى ظل القصور همسَ رُعيان الغنم

« الى زياد مشيرا الى قيس »

زياد انظرْ فما انفكَّ صريعَ الوجد والذكرى
كما مرَّ بنا الركبُ الحسينىُّ به مرَّا

فلم يشغَلْ له بالا ولم يوقظْ له فكرا

« زياد »

رويدا سيدى مهلا ولا تستغرِب الأمرا
لقد سقناه بالأمس لحجِّ الكعبةَ الغرّا
فلما لمس الركنَ ومسَّتْ يدُه السّترا
وقلنا الآنَ من ليلى ومن فتنتها يبرا
سمعناه ينادى الله من ساحته الكبرى

« ابن عوف »

وماذا قال ؟

« زياد »

ما تابَ من العِشق ولا استبرا
ولكن قال يارِبُّ ملكتَ الخيرَ والشرا
فهاتِ الضُّرَّ إن كان هوى ليلى هو الضرا
وإن كان هو السحرَ فلا تُبطلْ لها سحرا
ويارِبِّ هَبِ السلوى لغيرى وهبِ الصبرا
وهبْ لى مَوْتةَ المُضنَى بها لا مِيتةً أُخرى

« يقبل على قيس ويميل عليه بحنان »

حنانيك قيسُ إلامَ الذهول ؟ أفقْ ساعةً من غواشى الخبَلْ
صليلُ البغال ورَجْع الحُداء وضجّةُ رَكْبٍ وراء الجبَلْ
وحادٍ يسوق رِكابَ الحسيْنِ يهزُّ الجبالَ إذاما ارتجلْ

فلم يبقَ ماشٍ ولا راكبٌ على نجدَ الا دعا وابتهلْ
فقمْ قيسُ واضرعْ مع الضارعين وأنزِلْ بجَدّ الحسين الأملْ

« يسمع صوت حاد آخر قادما الى نجد من ناحية يثرب يغنى على رأس قافلة أخرى »
« وتمر هذه القافلة كما مرت الأولى »

« أنشودة الحادى »

هلا هلا هيَّا * إطوى الفلا طيَّا * وقرّبى الحيّا * للنازح الصَّبِّ
جلاجلٌ فى البيدْ * شجيَّةُ الترديدْ * كرنَّةِ الغرّيدْ * فى الفنَنِ الرَّطْبِ

أناح أم غنّى * أم للحمى حنّا * جُليْجلٌ رنَّا * فى شُعَبِ القلبِ
هلا هلا سيرى * وامضى بتيسير * طيرى بنا طيرى * للماء والعشبِ
طيرى اسبقى الليلا * وأدركى الغيْلا * العهدَ من ليلى * ومنزلَ الحبِّ
بالله يا حادى * فتّشْ بتوْبادِ * فالقلبُ فى الوادى * والعقلُ فى الشِّعبِ
يا قمرا يبدو * مَطلعهُ نجدُ * قد صنع الوجدُ * ما شاء بالركب

« يفيق قيس ثم يتلفت مصغيا الى الحداء »

« قيس »

ليلى ! مناد دعا ليلى فخفّ له نشوانُ فى جنبات الصدر عِربيدُ
ليلى ! انظروا البيدَ هل مادت بأهلها
وهل ترنَّمَ فى المزمار داودُ

ليلى ! نداءٌ بليلى رنَّ فى أذنى سحرٌ لعمرى له فى السمع ترديدُ
ليلى تردّدُ فى سمعى وفى خلدى كما تردّدُ فى الأيك الأغاريدُ
هل المنادون أهلوها وإخوتُها أم المنادون عشاقٌ معاميدُ

إن يشرَكونى َفى ليلى فلا رجعَتْ جبالُ نجدٍ لهم صوتا ولا البيدُ
أغيرَ ليلاى نادوْا أم بها هتفوا فداء ليلى الليالى الخُرَّدُ الغيدُ
إذا سمعت اسمَ ليلى ثُبت من خَبَلى وثابَ ماصَرَعتْ منى العناقيدُ
كسا النداء اسْمَها حسنا وحبَّبه حتى كأن اسمَها البشرى أو العيد
ليلى ! لعلىَ مجنونٌ يُخيَّلُ لى ؟ لا الحىُّ نادوْا على ليلى ولا نُودوا

« ابن عوف »

لا تكتئبْ وتعالَ يا قيسُ استرحْ
مما تكابد في الهوى وتلاقى

« قيس »

هل أنت آسٍ يا أميرُ جراحتى
أم أنت من سحر الصبابة راقِ؟

« ابن عوف »

بل من رُواتكَ قيسُ من زمنٍ مضى
لم أخلُ قيسُ عليك من إشفاق

« قيس »

قل للخليفة يابنَ عوفٍ فى غدٍ منذا أباح له دمَ العشاق ؟
هدَرتْ حكومتُه دمى فتحرَّشتْ بدمٍ على سيف الجفُون مُراق

« ابن عوف »

أرَضِيتنى عند الخليفةِ شافعا ؟ يا قيس

« قيس : فى أنفة »

لا والواحدِ الخلاق

بل عند ليلى فامض فاشفعْ لى لدى
ليــــلى وناشِدْ قلبَها أشواقى
جِئْها فذكِّرْها العهودَ وحِفظَها
واذكرْ لها عهدى وصِفْ ميثاقى
لَيلى إذا هى أقبلتْ حَقَنتْ دمى
كرما وفكّتْ يا أميرُ وَثاقى

« ابن عوف »

الآنَ قيسُ اذهبْ فبدّلْ حلّةً
وترَدَّ غيرَ ثيابِكَ الأخـــــلاق
فالصبحَ تدخلُ حىَّ ليلى قيسُ فى
ركْـــبى و بين بطـانَتى ورفاقى

« قيس : الى زياد »

أسمعتَ ما قال الأميرُ ؟ زيادُ ، طِرْ
نحو الحمى بجَـنَاحى المشتـــاق
إذهبْ وسلْ أمى أعزَّ ملابسى
من كل شـامىٍّ وكلّ عراقى
واذكرْ لها فضلَ الأمير ، ولم تزَلْ
نِعَم الأمـير قلائدَ الأعنـــاق

« يسير زياد نحو الحى بينما يتمسح قيس بابن عوف كالطفل »

شكرا لصُنعِكَ ياأميرُ   ودُمتَ مَقصودَ الرحابْ

عجّلْ أمير

« ابن عوف ضاحكا »

بل انتظرْ   أنسيتَ ياقيسُ الثيابْ ؟

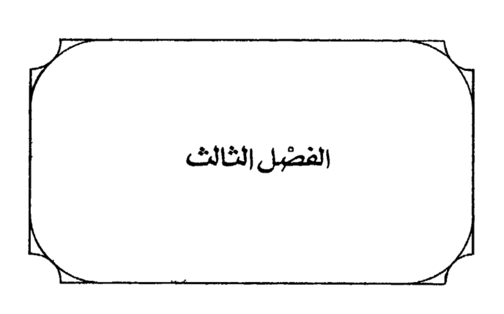
« قيس »

مَنْ مُبلغٌ أمى الحزينةَ   أن عقلى اليومَ ثابْ ؟

ومَن البشيرُ اليكِ ياليلى   بقيسٍ في الركابْ ؟

اليومَ أهلا بالحيَاة   ومرحباً بكَ ياشبابْ !

ستار



الفصل الثالث

« قطعة من الصحراء تبدو فى يسارها طائفة من مِضارب بنى عامر ممتدة الى ماوراء »
« البسار على سفح جبل التوباد ــ خباء مضروب الى تين هذه الطائفة من المضارب »
« كأنه نهاية خيام الحى ــ على اليمين أشجار بان يقف فى ظلها ابن عوف »
« وحاشيته وقيس وزياد »

« ابن عوف »

تراءى الحىُّ للركْبِ وأشرَفنا على الشِّعبِ
أفِقْ قيسُ أما فى روْ ية الخيْمات ما يُصبى ؟
ألا تهتفُ بالشكوى الى ليــــلى و بالعتْــب

« قيس »

ديارَ الحى من ليـلى ســلامٌ من شَجٍ صَبِّ
على الحى على الدار على ليـلى على الحب
غدا الركبُ على طيبٍ كريح المندَل الرَّطب
فيا ليـــلى عسى اليوم أبلُّ الشوقَ بالقرب
عسى الخطْبةُ لا تنزلُ فى ناديكِ كالخطب

عساهم لا يقولون فتى مشترَكُ اللب
ولا يذهبُ إحسانى ولا يبقى سوى ذنبى
يقولون بها غنّي لقد غنّيتُ من كربى
سلى تُربَكِ كم مرّغت خدّىّ على التُّرب
وكم جُدتُ علَى الرمل ولم أبخَلْ على العشب
بدمعٍ مثل دمع الثُّكلِ مغروفٍ من القلب

« يتطلع ابن عوف الى ناحية الحى »

« ابن عوف »

قيسُ انتبهْ قيس

« قيس »

مَن المنادى ؟

« ابن عوف »

الحىُّ فى السلاح سَدَّ الوادى
وأنت قيسُ بعد حينٍ غاد على خصوم لُدُدٍ شِداد
فالقَ الرجالَ صاحىَ الفؤاد لا تَلْقهم مُضيّعَ الرشاد

« قيس : متطلعا كذلك »

أتُبصِرُ يابنَ عوفٍ حىَّ ليلى تَدجّج فى السلاح ولا تراها ؟
فما لى لا أُحقّقُ غيرَ ليلى وإن كَثُر السوادُ لدى حماها
لقد ألقىَ هوى ليلى حجابا على عينى فلستُ أرى سواها
وبغّضتِ النصيحَ إلىّ ليلى وسدّ مسامعى عنه هواها

« يسمع من بعيد ومن ناحية الحي لجب وقعقعة »
« سلاح ويقترب الصوت ويتعالى شيئاً فشيئاً »

أرى حيّ ليلى في السلاح ولا أرى سلاحاً كهجر العامريّة ماضيا

دمي اليومَ مهدورٌ لليلى وأهلِها فِداء لليلى مُهدَراتٌ دمائيا

لي اللهُ! ماذا منك يا ليل طاف بي وما ذلك الساقي وما ذا سقانيا ؟

دعوني وما عِندي لليلى أقولُه لليلى وأستنشي الذي عندها ليا

أهيمُ فأستعدي نهاري على الجوى وأقبعُ ليلى أستجيرُ القوافيا

(فما أُشرِفُ الأيفاعَ الاصبابةً ولا أُنشدُ الأشعارَ الا تداويا)

إذا الناسُ شَطرَ البيت ولّوا وجوهَهم تلمستُ ركنيْ بيتها في صلاتيا

(أُصلّي فما أدري إذا ما ذكرتُها أثِنتَين صلّيتُ الضُحى أم ثمانيا)

توارتْ وراء الجَمْع ليلى فخانها فمٌ كابتسام الصبح يأبى التواريا

وطِيبٌ به خُصّتْ حوى الطيبَ كلَّه فــمنه الأقاحي أو فمنه الفواغيا

فأحسستُ من فرْعي لساقيّ هزّةً كأن عياناً منكِ لاقى عيانيا

دعونا وما يبقى إذا ما فنيتمو فوالله ما شيءٌ خلا الحبَّ باقيا

مشى الحبُّ في ليلى وفيّ من الصِّبا ودبَّ الهوى في شاء ليلى وشائيا

وإني وليلى للأواخر في غدٍ لشُغْلٌ كما كنا شغلنا الأواليا

« يبدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترنح فيتلقاه »
« زياد — تسمع أصوات الحي من قريب »

« ابن عوف »

زيادُ أدركْه أدركْ إني أرى الداء عادَهْ

لقــد تضاءل قيسٌ واصفرّ مثلَ الجراده !

وليس قيسٌ بمُلقٍ إلا إليك قِياده
الآن أسعى لقيسٍ سعيا أخافُ فسادَه
فِـلْ بنا وبقيسٍ حتى يُصيبَ رشادَه

« يحملون قيسا ويختفون به وراء شجر »
« الباذ ، وتظهر طلائع الحى من اليسار وعلى »
« رأسها المهدى ومنازل ، وكلهم شاكى السلاح »

« المهدى »

يا قومُ إن البغىَ شرٌّ مركَبُهْ والخيرُ فى جانب من يُجَنِّبُهْ
هذا ابنُ عوفٍ قد أطلّ موكبُه وإن قيساً فى الرّكاب يصحبُهُ
جاء يرومُ صهرَكم ويَخْطُبُهُ وقد علمتمْ كيف ساء مذهبُه
وكيف طال بابنتى تشبُّبُهُ

« صوت »

كِلْه الى سيوفنا تؤدِّبُهْ لقد وجدناه وكنا نَرقُبُهُ

« المهدى »

لا ، دمُ قيسٍ دمُنا لا نقرَبُه يكفيه منا أننا نُخَيِّبُه
ونَصرِفُ الأميرَ عما يطلبُه

« صوت آخر »

شيخَ الحى لاتضعُفِ ولا تردّدْ وقف
ذُدْ عن عقيلة الحى وامنعْ حياضَ الشرَفِ
لاتُصغِ للشافع فى قيس ولا المستعطِفِ
ليس ابنُ عوْفٍ فى الذى سعى له بالمنصِفِ

أبا لأميـــر بعد مـا أجار قيسا تحتفي ؟
لا تخشَ بأسَـــه ومن رجـــاله لاتخف
نحن كعثمانَ وليـــلى بيننا كالمُصحَف

« يظهر ابن عوف وحاشيته من »
« وراء الشجر ومعهم زياد »

« ابن عوف »

عِمْ أبا ليـــلى صباحاً

« المهدى »

عِمْ صباحاً يابنَ عَوْف

« ابن عوف »

قل لهم يُلقُوا السـلاحا ليس ذا مَوْطِنَ خوف

« صوت من الحى »

يابنَ عوفٍ ياأمـيرْ ليس ذا شأنَ الوُلاةِ
كيف تَحمى وتُجيرْ مُستبيحَ الحُرُماتِ ؟

« ابن عوف »

عامِرُ يا أجاودَ البِطـــاحِ وأسمَحَ الناس بُطونَ راحِ
مـــالى وللسيوف والرماحِ ؟ ضيفٌ أنا وما من السَّماحِ
رَدكَ وجهَ الضيف بالسلاح ماجئتُكم ياقومُ للكفـاحِ
بل جئتُ للتوفيق والإصلاحِ

« تحدث ضجة فى جانب الحى وتصايح وتهامس »
« ثم يلقى كثير منهم السـلاح ويغمد السيوف »

« صوت من الحى »

يا أبا ليلى بليلى جُدْ لقيسٍ بالحياةِ
إنه شاعرُ نجدٍ ونَجِىُّ الظَّبَيَاتِ

« صوت آخر »

قيسُ أخٌ وابنُ عمٍّ وليس أهلاً لذَمٍّ
نجمٌ أضاء بنجد سما على كل نجم
هبوه جُنَّ بليلى ليس الغرامُ بجُرم

« منازل : حيث يستقبل الجمين خطيبا »

إن قيساً معشرَ الحى أخٌ وابنُ عمٍّ أفمنه تبرأونْ ؟

« أصوات »

لا ورَبِّ البيت

« منازل » ...

أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً شاعرُ البيد الذى لا يُجارَى أفأنتم مُنْكِرونْ ؟

« أصوات »

لا وربِّ البيت

« منازل »

أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً سيدٌ من عامرٍ وابنُ سادات ، أفيه تمترون ؟

« أصوات »

لا وربِّ البيت

« منازل »

أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً قد بنى المجدَ لـكم ولنجدٍ أبقيسٍ تكفرون ؟

« أصوات »

لا وربِّ البيت

« منازل »

أصغُوا لى إذن ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيسا كاملٌ فى عقله أو آنستم على قيسَ الجنون ؟

« أصوات »

لا وربِّ البيت

« منازل »

أصغُوا لى إذن ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون
أنا لم أعــدِلْ بقيسٍ شاعرا لا ولا أنتم بقيـسٍ تعدِلون

« أصوات »

لاوربِّ البيت

« منازل »

أصغُوا لى إذن ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون
أنا فى وُدى وإعجـابى به لايدانيـنى الرواةُ المعجَبون
شعرُه يبـــقى ويفنى غـيرُه ليس كلُّ الشعر تَرويه القرون
شعرُ قيس عبقرىٌّ خالدٌ ليتـــه لم يتخلَّلْه المجُون

ولو ان المتجـــــني شاعرٌ غيرُ قيسٍ أوشك الخطب يهون
رُبَّ شعرٍ قال فى ليلى ، به هتف البدْوُ وضجَّ الحاضرون
إننى أخشى عليكم عارَه رُبَّ عارٍ ليس تمحوه السّنونْ
ضجرتْ ليلى وضجّت أمُّهـا وأبوهـا وتأذّى الأقربون
وغَدا كلٌّ فتى من عامـرٍ حين يلقى الناسَ ، مَحنِىَّ الجبين

« أصوات كثيرة »

هو ماقلت

« منازل »

إذن ما بالُـــكم لم تثوروا ، مالكم لا تغضبون ؟
هو ذا قيسٌ مع الوالى أتى يطـأُ الحىَّ وأنتم تنظرون
وأبو ليـلى امرُؤٌ أدرِى له رِقّـةَ القلب وأخْشى أن يلين
بعدَ حينٍ يعبَثُ القومُ بـكم ومن الحىّ بليلى يخرجون
آن يا قومُ لـكم أن تعلموا أن قيساً هتك الخدرَ المصون
قيسُ لم يترك لليلى حُرمـةً ما الذى أنتم بقيسٍ فاعلون ؟

« صوت »

ما جنٌ لابدّ من تأديبه

« صوت آخر »

إن بالسَّوْط يُرَبىَّ الماجنون

« صوت »

نأخـــذُ الحىَّ عليه

« آخر »

ولنقفْ دون ليــلى وحماها كالحصون

« منازل »

حلّل السلطان بالأمس لـكم دمَ قيسٍ ما الذى تنتظرون ؟

« صوت »

حلّل السلطان بالأمس لنا دمَه

« أصوات أخرى »

إنا بقيسٍ فاتكون

« ضجيج واندفاع »

« صوت »

مُنازِ يابنَ العم ما هذا الخبرْ ؟ رفعتَ قيساً فجعلتَه القمرْ
والآن أغريتَ بقتله الزُّمَرْ كفعل جزار اليهود بالبقر
برّأها من العيوب وعَقَرْ !

« يصعد بشر منبرا للخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس »

« قائل »

إرجعوا يا قومُ هذا منبرٌ
وخطيب

« يسأل أحدهم »

ليت شعرى من يكونْ ؟

« آخر »

أو أعمى أنت هذا بشرُ

« آخر »

هل يحسن الخُطبة بشرٌ ويُبين

« يحاول منازل أن ينسل من الجماهير »

« بشر »

قف منازِ اسمعْ سمعتَ الرعدمن جانبىْ صاعقةٍ فيها المَنون
وسمعتَ الذئبَ فى جوْز الفَلا وسمعتَ الليثَ فى جوف العرين
أخطيبٌ أنت أم خطبٌ وإن لم تَهُن والخطبُ أحيانا يَهُون

« منازل صائحا »

بشر . . .

« بشر »

قف !

« منازل »

مالك يا بشرُ ولى ؟
إن حربَ الأهل والصحب جُنون

« بشر »

لِمْ إذن حاربتَ قيساً لم تصن
حرمةَ ابن العم أو حقَّ الخَدين؟

« منازل »

قلتُ بشرُ الحق

« بشر »

خلّ الحق ما

أنت والله على الحق أمين

إنما أنت لقيسٍ حاسدٌ منطوى الصدر على الحقد المَهين

كلما حدّثتَ عنه عامراً قرأتْ فى وجهك الداء الدفين

ترسِلُ الزفرةَ تتلو أختَها وتَفُشُّ الصدرَ من حين لحين

يا منازِ يابن عمّى أصغ لى أنت دونٌ أنت دون أنت دون !

« منازل »

دعونى

« بشر من المنبر »

دعونى فلا بدّ لى

« رجل »

أناتَك

« بشر »

لا بد أن أقتــلَهْ

« منازل »

دعوني

« بشر »

دعوني

« رجل »

دعوه اتركوه

« آخر »

ومن كتَّفَ النذلَ أو كبّله ؟

« منازل »

دعوني

« رجل »

دعوه

« آخر »

كلا البطلين

يقولُ الوعيدَ ولن يفعله

« بشر »

دعوني

« رجل »

تقدَّمْ

« منازل »

دعوني

« رجل »

انطلق

« بشر »

دعونيَ

« رجل »

جئْه

« منازل »

دعوني

« رجل »

امش لهْ

« آخر »

تنحَّوْا وخلُّوا سبيليْهما ولا تخشوْا الوقعة المقبلهْ

« بشر »

منازلُ في عقـــله كاملٌ

« منازل »

وعقلك يا بشرُ ما أكمـلهْ

بشر

أننزو على الحيِّ نَزْوَ الديوك ونقفزُ كالأكبُش المرسـلهْ
وتَفلَقُ رأسي كرُمانة وأفلقُ رأسـك كالحنظلهْ
فما ذا يردُّ عليك العويلُ وما ذا انتفـاعيَ بالولولهْ ؟

« زياد »

مُنازلُ كنت كثير الكلام ووالله ماقلتَ الا الكذبْ

« صوت »

أتزعمُه كاذباً يا زيــادُ ، وقد ذاد عن حُرمات العربْ ؟

« زياد »

رويدَك لا تنخدِعِ يا فتى ولا تأخذ الأمرَ دونَ السببْ
فلم يبغِ الا خداعَ الجموع وجلْبَ الظنون وخلْقَ الرِّيبْ
وأثَّر فيكم وفى آخرين وأفرغ فيكم سُمُومَ الرُّقُبْ

« صوت »

منازلُ دافعَ عن سُنَّةٍ مُعظّمةٍ من قديم الحِقب

« زياد »

تأمل منازلُ سُخْطَ الجموع وجهلَك ماذا عليهم جلَبْ !
أجل قد غضبتَ ولكنما لنفسك ليس لليلى الغضب
تحضُّ على قَتل قيسَ الرجالَ لتحظى بليلى إذا ماذهب

« أصوات »

يُريدُ ليحظى بليلى ؟

« زياد »

نعم !

« صوت »

تكلمْ

« صوت آخر »

أبِنْ

« ثالث »

إن هذا عجب !

« زياد »

ساوه ألمْ يكُ يغشَى النَّدِيَّ ويطلبُ ليلى أشدَّ الطلب ؟

« صوت يخاطب المهدى »

إذن كان يخطبُ ليلى ؟

« المهدى »

نعم !

« صوت »

إذن قد تجنّى

« صوت آخر »

إذن قد كذَب !

« زياد »

منازلُ قل لهمو كم ضرعـــــت لليلى وكم أعرضتْ لم تُجِبْ

« صوت »

منـازلُ اخدعْ وغُشَّ غيرى

« آخر »

قد جازَ الا علىّ كِذْبُكْ !

« ثالث »

ما أنتَ إلا جنٍو شـقىٌّ تحبُّ ليـلى ولا تُحبُّكْ !

« تحدث ضجة حول منازل ويقف ثلاثةرجال »
«فى ركن قصى من أركان المسرح يتحدثون »

« الأول »

قد اختلف الحيُّ فى أمر قيسٍ
وليلى فكلٌّ له مذهبُ
وأنت الى أيِّ رأيك تميلُ
وأىّ الفريقين تستصْوِبُ

« الثانى »

إذا صدقت نظرتى فى الأمور ولى نظرةٌ قلما تكذِبُ
منازلُ غادٍ على خيبةٍ وقيسٌ على فضله أخْيب
وقد يُخفقان و يلقى النجاحَ غريبٌ له فيكمو مأرب

« الأول »

غريب ؟

« الثانى »

أجل من نواحى ثقيف

« الأول »

ومن ذاك ؟

« الثانى »

وردُ

« الأول »

وما يطلب ؟

« الثالث »

رأيناه فى الحى يمشى الحياء وقيل أتى عامرا يخطُب

« الأول »

وليلى ابنةُ الشيخ مارأيُها أما من حسابٍ لها يُحسب ؟

« الثانى »

أراها وإن لم تَخطَّ الشبابَ عجوزاً على الرأى لا تُغلَب
تصونُ القديمَ وترعى الرميمَ وتُعطى التقاليدَ ماتوجب
وبالجاهلية إعجابُها إذا قل بالسلف المعجَبُ
ومن سُنَّة البيد نفضُ الأكفّ من العاشقين اذا شبّبوا
فلا تعجبوا إن جرى حادثٌ يُحدث عنه ويُستغرب
وإن رضِيَتْ وردَ بعلا لها وقيسُ الأحبُّ لها الأقرب
فيا طالما التمست مهربا وأرضُ ثقيفٍ هى المهرب

« منازل »

بنى عامر لا تُضيعوا الحُلومَ فان الأناة بكم أجملُ
هبوا لىَ آذانكم إننى أجدٌّ وصاحُبكم يَهزِلُ
خطبتُ وأخطبُ ليلى غدا وما لىَ يا قومُ لا أفعلُ
وقد تُعرِضُ اليومَ ليلى فلا أضيقُ ، عسى فى غدٍ تُقبِلُ
فما قيسُ أجدرُ منى بها ولا هو خيرٌ ولا أفضل

« زياد »

إليك منازلُ ! لا تتّزِنْ بقيسٍ قد اختلف المنزلُ !
ولا يستوى الشاعرُ العبقرىُّ ومن هو من باقل أبقل

« منازل »

وما أنت ؟ بيِّنْ لنا يازياد

« زياد ـ ممسكا بذراع منازل »

ستعلمُ منِّى ما تجهل

هلُمَّ مُنازِ ، هلمَّ الصراعْ ! وودِّعْ ضلوعَك وانْعَ الذراعْ

« منازل »

خلِّ زيادُ خلِّ عن ذراعى

« زياد »

سألتَ ما أنت ؟ فأصغِ ، راعِ

إنى أنا ممزِّقُ الأضلاع !

« ثم يجره من ذراعه ويمضى به الى خارج المسرح »

« صوت »

ما ذا يكون يا ترى ؟

« آخر »

هيّوْا نرى هيوا نرى

« آخر وهم يتدافعون »

زيادُ غـــيرُ هازلِ

« آخر »

نوحوا على منازلِ

« آخر »

حمـــامةٌ وبازى !

« آخر »

هلـكتَ يامنازِ !

« آخر من بعيد »

إهرب من البرازِ

« يخلو المسرح الآن إلا من المهدى وابن عوف »
« ونصيب ثم تسمع صرخة من وراء الشجر »

« مهدى »

ما بقيسٍ يابنَ عوف ؟

« ابن عوف »

إنه مغمًّى عليـــــه

« مهدى »

قيسُ لا بأسَ عليك كبِّروا فى أذُنيْه

« صوت من وراء الشجر »

الله أكبر الله أكبر

« ابن عوف لنفسه »

سُدًى كبِّروا ما أُذْنُ قيسٍ مفيقةٌ وإن سكبوا فيها أذانَ بلالِ

ولـكن على ليلى يُفيقُ وشبهها إذا ما بدتْ ليلى بشكلِ غزالِ

ويصحو على ليلى إذا ردِّدَ اسمُها وراء بيوتٍ أو وراءِ رِحالِ

« المهدى »

دَمُ الوُدِّ والقُربَى وإن كان ظالما عزيزٌ علينا أن نراه يسيل

وإنى لانسانٌ وإنى لوالدٌ ولى مذهبٌ فى الوالدين جميل
فرفقا بقيس يا أميرُ ونَحِّه بعيدا لعل الشرَّ عنه يزولُ

« ابن عوف »

أناةً أبا ليلى وحِلما ولا يَكنْ عليك لطغيان الظنون سبيل
رددتم ركابى واتهمتم زيارتى وأجلبَ فتيانٌ وضجّ كهول
تأملْ تجدْ جمْعا مَغيظا وكثرةً تصولُ وماتدرى علامَ تصول !
رءوسٌ تنزَّى الشرُّ فيها وراءها نفوسُ ذئاب مالهن عقول
تَطَلَّبُ أن يُلقى اليها بجُثَّةٍ على غير جوع أو يُساقَ قتيل
نواظرُ مايأتى به اليومُ من دمٍ وإن لم يُساورْها صدًى وغليل
نزلتُ فلم أُكرَمْ فهل أنت متُبعى وقومُك نارَ الطَّرد حين أميل؟
أبيتم علىّ القولَ قبل استماعه فلم تُنصفوا والمنصفون قليل
فهل لى أبا ليلى بناديكَ وقفةٌ فإن الذى قد جئتُ فيه جليل
وما أنا مَرْءُ السوء أورجُلُ الأذى ولكنْ سفيرٌ خيِّرٌ ورسول
ولم أتخذْ جاهَ الأمور ذريعةً ألا إنما جاهُ الأمور يزول

« المهدى »

بقيتم بخير يا وُلاةَ أميةٍ ولا زال يقوى ركنُكم ويطول

«مشيرا الى باب الخباء»

هنا مجلسٌ نأوى اليه لعلنى أقولُ صوابا أو عساكَ تقول
وثَمّ ترى ليلى وتسمعُ قولَها وليلى لها رأىٌ يُساقُ جميل

فسلْها عسى أن نهتدي ماجوابُها إباء وردٌّ أو رضى وقبـول

« يهم ابن عوف بخلع نعليه »

« المهدى »

أتخلعُ نعليك لا يابنَ عوف نَشَدتُك بالله لا تفعلِ

أتمشي الى منزلى حافيا فديتُك، من أنا؟ ما منزلى؟

« ابن عوف »

خلعتُهما وانتعلْتُ الترابَ الى خَيْمة السيّدِ المفضِلِ

« نصيب : متدخلا »

دعْه يامهدىُّ يفعل إنما يَرمِي لمعنى

كالحسيْنِ بنِ علىٍّ هو بالعشاقِ يُعنَى

الحسينُ انتعل التربَ الى والد لُبنَى

فـرآه حـافـيـا في سـاحـة الـدار فـجُـنّـا

قال لا أملِك يابنَ المصطفى بنتًا ولا ابنا

أنت في الدار أميرٌ فبما شئتَ فمُرنا

« لنفسه »

يادهر دُرْ بما تشا وياحوادثُ اهزِلى !

ويا وظيفةُ اعزُبى ويا جرايةُ ارحلى

يبغى ابنُ عوفٍ أن يكو نَ كالحسيْنِ بنِ على !

« يدخلان وينادى المهدى : »

هوالضيفُ ياليلَ هاتِ الرُّطبْ وهاتى الشِّواءَ وهاتى الحَلَبْ

وهاتى من الشهد ما يُشتَهى ومن سَمنَة الحىّ ما يُطَّلَبْ
فما هو ضيفٌ كَكلّ الضيو ف ولكن أميرٌ كريمُ الحَسَبْ

« ليلى من وراء حجاب »

أبى ألفَ لبيْك !

« ابن عوف »

لا بل قِفِى فما بى ظَماٌ ولا بى سغَبْ
وأعلَمُ أن القِرى دِينُكم وأن أباكِ جوادُ العربْ
ولكن طعامىَ

« المهدى »

ماذا ؟ اقترِحْ

« ابن عوف »

طعامُ الرسول بلوغُ الأرَبْ

« المهدى »

إذن قِفى ليلى اقرُبى

« تظهر ليلي من وراء الستر »

تقدّمى ورحّبى
حلّ ابنُ عوفٍ دارَنا

« ليلى »

أكرمْ به وأحببِ !
قد زارنا الغيثُ فأهلاً بالغمام الصَّيِّبِ

« ابن عوف »

أهــلاً بليــلى بالجمـالِ بالحِجـــى بالأدبِ
عشتِ وقيساً فلقــد نوّهتما بالعــرب

« ليلى ــ بين الخجل والغضب »

أتقْرِنُ قيساً بنـا يا أميرُ ؟

« ابن عوف »

ولِمْ لا وقد جئتُ من أجْلِهِ
ومَنْ أنا حتى أضُمَّ القلوبَ وأعطفَ شكلاً على شكلِهِ
لقـد جمعَ الحبُّ رُوحيْكما وما زالَ يجمعُ فى حبلِهِ

« ليلى : فى استحياء »

أجلْ يا أميرُ عرَفتُ الهوى

« ابن عوف »

فهلاّ عطَفْتِ على أهـله ؟

« يلتفت الى المهدى »

أبا العـامريّـةِ قلبُ الفتــاةِ يقــول وينطِقُ عن نُبْـله
فأصـــغِ له وترفقْ به ولا يَسْعَ ظُـلمُك فى قتـــله

« المهدى »

أأظلم ليلى ؟ معاذَ الحنان ! متى جـار شيخٌ على طفـله ؟
هو الحُـكْمُ ياليلَ ماتحكمين خُذى فى الخطاب وفى فصله

« ليلى »

أقيساً تريد ؟

« ابن عوف »

نعم

« ليلى »

إنه منَى القلب أو مُنتهَى شُغله
ولكن أترضى حجابى يذالُ وتمشى الظنونُ على سِدْله
ويمشى أبى فيَـغضُّ الجبينَ وينظـرُ فى الأرض من ذلّه
يدارى لأجلى فُضولَ الشيوخ ويقتلُنِي الغمُّ من أجـله
يمينا لقيتُ الأمرَّيْنِ من حمـاقة قيسٍ ومن جهـله
فُضحتُ به فى شِعابِ الحجازِ وفى حَزْنِ نجـدٍ وفى سهـله
فخـذْ قيسُ ياسيدى فى حماك

« فى حياء وإباء »

وألْقِ الأمانَ على رَحْلِهِ
ولا يَـفتكِرْ ساعةً بالزواجِ ولو كان مَرْوانُ من رُسْلِهِ

« ابن عوف »

إذن لن تقبـلى قيساً ولن تَرضَيْ به بعلا
إذن أخفـق مسعـاىَ وخـاب القصدُ ياليـلى

« ليـلى »

على أنـك مشكورٌ ولا أنسى لك الفضـلا

وأوصيكَ بقيسَ الخيرَ لا زلتَ له أهلا
لقد يُعوِزُه حامٍ فكنْه أيها المولى

« تلتفت الى أبيها وكأنما تحاول »
« أن تحبس فى عينها دموعا »

أبى كان وردٌ ههنا منذ ساعةٍ ففيم أتى ؟ ما يبتغى ؟

« المهدى »

جاء يخطُبُ

« ابن عوف »

ومن ورْدُ ياليلى وهل تعرفينه ؟

« ليلى »

فتى من ثقيفٍ خالصُ القلب طيِّبُ

أتى خاطباً بعد افتضاحى بغيره وعارى، أهذا يابن عوفٍ مُخيِّبُ؟
أبى : أين وردُ الآن ؟

« المهدى »

عند قرابةٍ من الحىِّ ضمّوه اليهم ورحّبوا
فإن شئتِ أرسلنا اليه

« ليلى »

ابعثْ ادْعُهُ وجئنا بقاضى نجدٍ اليومَ يكتب

« ابن عوف »

تجاوزتِ ليلى غايةَ السُّخْط فاذكرى عواقبَ رأىٍ قد رأيتِ سخيفِ

« ليلى : متهكمة »

أَكنتَ ابنَ عوفٍ غيرَ أنثى ضعيفةٍ
تناهتْ لرأى فى الأمور ضعيف

« ابن عوف »

أرى وقفتى يا ليلَ كانت شريفةً ولكنْ جزائى كان غيرَ شريفِ

« ليلى »

أنظّفُ ثوبى يا أميرُ فطالما ظهرتُ به فى الحىّ غيرَ نظيف

« ابن عوف »

لئن كنتِ يا ليلى بوردٍ قريرةً فإنى على قيسٍ لجِدُّ أسيف

« ثم يخاطب أباها »

أَلان بحفظ الله ياسيد الحمى
لقد طال لُبثى عندكم ووقوفى

ووُقّت يا ليلى

« ليلى »

لقد كنتَ سيدى حليفاً لقيسٍ، هل تكونُ حليفى!

« ابن عوف »

سألتِ مُحالاً إنما جئتُ خاطباً لورد القوافى لا لورد ثَقيف !

« يخرج من باب الخباء ويشيعه »
« المهدى الى ماوراء شجر البان »

« ليــلى »

ربّاهُ ماذا قلتُ ! ماذا كان من — شأن الأمير الأرْيَحِيِّ وشانى ؟
فى موقفٍ كان ابنُ عوفٍ مُحسناً — فيه وكنت قليلةَ الاحسـان
فزعمتُ قيسـاً نالنى بمَسـاءةٍ — ورمى حجـابى أو أذال صِيانى
والنفسُ تعلَمُ أن قيساً قد بنى — مجـدى وقيسٌ للمكارم بانـ
لولا قصـائده التى نوّهن بى — فى البيد ما علِمَ الزمان مكانى
نجدٌ غداً يُطوَى و يفنَى أهـله — وقصيد قيسٍ فىّ ليس بفان
مالى غضِبْتُ فضاع أمرى من يدى — والأمرُ يخرجُ من يد الغضبان
قالوا انظرى ماتحكمين فليتنى — أبصرتُ رشدى أوملكتُ عِنانى
مازلتُ أهذِى بالوساوس ساعةً — حتّى قتلت اثنين بالهذيان
وكأننى مـأمورةٌ وكأنمـا — قد كان شيطـانٌ يقودُ لسانى
قدّرتُ أشيـاء وقدّر غيرها — حظٌّ يخُطُّ مصايرَ الانسان

ســـــتـــــار

الفصل الرابع

المنظر الأول

« حول ديار بنى ثقيف ، فى قرية من قرى الجن ، حيث اجتمعت طائفة منهم »
« للحفاوة بقيس وهو يهيم على وجهه ضالا فى الفلوات ، وبينهم شاب منهم »
« فى شكل إنسى جميل الثياب يتردى الحرير من فرعه إلى قدمه ، وعلى رأسه »
« عقالان من الحرير المحلى بالذهب، هو الأموى شيطان قيس ـ الجميع ينشدون »
« ويرقصون »

« نشيد الجن »

هذا الأصيلُ كالذَّهبْ يسيلُ بالمرأى العجبْ
على الوهادِ والكُثُبْ

الرقصُ يبعثُ الطربْ هلمَّ يا جنَّ العربْ
هلمَّ رقصةَ اللَّهبْ إذا مشىَ على الحطبْ
نحن بنو جهنَّما نغلى كما تغلى دمَا
نثور فى الأرضِ كما ثارَ أبونا فى السما
نحن بنو الجبارِ العلَم المنارِ

إبليسَ بِكرِ النار يا عزَّ من لهُ انتمى

نحن الرُّعــودُ القاصفهْ نحن الرياحُ العــاصفه

والظلمــــاتُ الزاحِــفَه عرمَرَماً عرمَرَما

لنـــا وما لنا صُــــوَرْ نرى ونسمَعُ البشر

ولا يَرَوْنَ من حضَرَ منا ومن تــكلما

نقول حينَ نصطدمْ بســـــادةٍ أو بِخَدَم

صمم صمم صمم صمم عمىً عمىً عمىً عمىَ

« هبيد »

فيمَ اجتمعْنا هَهنا ؟ يا عضْرَفُوتُ ما الخبر ؟

« عضرفوت »

لا أدْرِ ... تلك ضجةٌ حضرتُها فيمن حضَرْ

فسل أخاك عَسَراً

« هبيد »

ماذا هناك يا عسَرْ ؟

« عسر »

نحن مسوقونَ الى ما ليسَ ندرى كالبقرْ

« الأموى »

بنى الجنِّ فى أرضِكم عابِرٌ من الإنسِ يرسُفُ فى ضُرِّهِ

فقـالوا بهِ واعلموا أنه فتىً نبَّه الشِّعْرُ من قدرِه

« هيد »

وأينَ تُرَى هـــو ؟

« آخر »

ماذا يكون

« الأموى »

وماذا يهمُّك من أمره

ألم تعلموا أنَّ لى صاحبا من الإنس أحكُمُ فى شعرِه

« هيد »

أجل أنت تُوحِى له ما يقولُ وتقذفُ ما شئت فى فكرِه

« الأموى »

إذن فاعلموا أنه عاشـــق تملَّأت البيدُ من ذكره

« عاصف »

وأعلم أن الهوى واحـــد حوى المستهامين فى أسْره

وأن التى ســـحرت قلبهَ مدلّهةُ القلبِ من سحره

« الأموى »

وانى لأكفلُ ليـــلى له وأصرفُها عن هـوى غـيرِه

سهِرْتُ على طُهر ليلى الزمانَ ولم أغمِض العينَ عن طُهرِه

صرَفتُ عن الحب حتى الزواجَ وما قدَّسَ اللهُ من سِره

ولو أنَّ عينى تَشقُّ القبُورَ سهِرْت على الحبِّ فى قبره !

« عضرفوت »

ومن يكون

« الأموى »

قيس

« عضرفوت »

من قيس

« عاصف »

وهــــل يخفَى القمرْ !

الشاعــرُ الذى سـحر والساحر الذى شَعَــــر

حَنْجَرةٌ لنـــــا وترْ منهـــا وللإنس وتر

« هبيد »

وما لنـــــا يا عضرفوتُ ولِفتيــــانِ البشرْ ؟

وما لقِينـــا منهمو ومن أبيهم غـــيرَ شر ؟

« عضرفوت »

بنى الجنِّ اسمعوا أبكم زكامٌ

« جني »

ولِمْ ؟

« عضرفوت »

نَتَنَتْ لعمركُمو الجواء

« آخر »

وما فى الجو ؟

« عضرفوت »

ريحٌ آدمىٌّ

ففيه نَتانةٌ وله ذَكاء

إذا البشرىُّ مرَّ علىّ يوماً فقَد مرّت علىّ الخُنْفَساء

« جنى »

أجل بعداوة البَشَرِ ابتُلينا وطال بها التبرّمُ والعَناء
مضى بالكبر إبليسٌ أبونا وكلٌّ تراثِ آدمَ كبرياء .
يَعيب رجالُهم فيقال عبنا وتَدْفِنُ عارَهَا فينا النساء
وان عَجزَ المطبب قال داء من الجنّى ليس له دواء
وان قَفَزَت صغارهمو فزلّت فمنا معشرَ الجنِّ البلاء
وخِفنا من أذاهم فاحتجبنا فما عصم الحجاب ولا الخفاء
وكم متعوذٍ بالله منا تعوذ الأرضُ منه والسماء !

« عضرفوت »

وقد نشكو من الناس التجنى وننسى ما جناه الأنبياء

« جنى »

أَأُرسْلُ الله أيضاً من عِدانا ؟

« عضرفوت »

أجل هم فى عداوتنا سَواء

بنى فخماً سليمانُ وضخماً ولولا الجنُّ ما نهضَ البناء
بفينا تدمرَ الكبرى بأيدٍ فهلْ تدرونَ ما كان الجزاء ؟

« جني »

وما كان الجزاء ؟

« آخرون »

أينْ !

« عضرفوت »

عذابٌ

وسجن ما لمدّته انقضاء !

فتحتَ الماء

« جني »

تحتَ الماء ؟

« عضرفوت »

عانٍ

عليه طلاسم وعليه ماء !

وفي جوف القماقم لو علمتم

« آخرون »

وما ذا في القماقم ؟

« عضرفوت »

أبرياء !

« جنى »

ومن ذا زجَّهُم فيها ؟

« عضرفوت »

أميرٌ

علينا لا يُرَدُّ له قضاء

نبيٌّ فهو عدلٌ حيثُ يَقضِى

ومَلْكٌ فهو يفعلُ ما يشاء !

« عاصف »

قيس يا قومُ منكمو ليس قيسٌ من البشر

« جنى »

قيس منا وإنما فى بنى عامرٍ ظهر

« آخر »

إننى قد رأيتُه يتفلّى على الشجر

« ثالث »

وسمِعناهُ قد عوى عَوَّةَ الجنِّ واستتر

« رابع »

أنا أيضاً رأيته ركِبَ الظبىَ فى السفر

« عاصف ـ متطلعا »

تعالَوْا فانظروا

« يتطلع الجميع الى حيث ينظر »

« جنى »

ماذا ؟

« آخر »

عجيبٌ

« عضرفوت »

نرى شبَحاً يُدحرِجُه الفضاء

أقيسٌ ذا ؟

« عاصف »

نعم هــو فاستعدوا فقد وجب التحفزُ واللقاء

« هبيد لجنى آخر »

تأمّلْ قيساً المُضَنَى تجدْه من الذّوَبان أصبح كالخيَالِ

« الآخر »

لقد ضلّ الطريقَ أما تراهُ يُصفقّ باليَمين وبالشِّمال ؟

وقد قَلَبَ الثيابَ عليه نَهْجاً على عاداتِهم عند الضلال

« يظهر قيس فيلتفون حوله وينشدون »

ســــــلامٌ مَلِكَ الحبِّ وســلطانَ المُحبينــا

وأهــلا وعلى الرحبِ لقــد شُرِّفَ وادينــا

أتى الجنُّ من الوادى يُحيّـــــونك بالورد
حدا ركبَهم الحـــادى الى ناديك من بُعْدِ

« يلفت قيس ذات اليمين وذات الشمال »

رَب الى أين انتهت بىَ السُّرى وأىَّ وادٍ أنزلَتنى يا تُرى
عساىَ فى الشام ، لعلّى جزْتُه أو أنا بالطائف أو أين أنا ؟
وهــذه المُسوخُ حولى جِنّةٌ أم عمَلُ الوهم وتهويلُ الكَرى
لا ، أنا صاحٍ

« يتحسس جسمه »

هذه رِجلى وذِى يدى وتلك مُقلتى يقظَى ترَى
ولِمَ لا أُومِنُ بالجن وأَنْ تكون للجنّة كالناس قُرى؟
لا أدّعى معرفــةً بعــالَمٍ ظاهرُه أكثرُ منه ما اختفى

« يمسح جبينه ويعيد النظر والتطلع »

تلك منَ الجنِّ لعَمرى شِرذِمَهْ وهـــذه خيلهمو المُسَوَّمَهْ
نعامــة كالفرَس المُطهَّمَهْ وأرنبٌ مُسْرَجَةٌ ومُلجَمــه
وقُنفُذٌ وظَبيةٌ وشَيْهمَه

ياعجباً كلَّ العجبْ ! الجنُّ منى عن كَثَبْ
ســودٌ دقاقٌ فى العيونِ كالدُّخانِ فى الحطب
يخرجُ من أفواهها ومن عيــونِهــا اللهب
من كل مَن جال بقَرْ نيْه وصـــال بالذَنب

« الجان »

نَبِيَّ الحبِّ لا تَخش   أذًى أو شِرَّةً منا
عَطفْتَ الطيرَ والوحشا   فلِمْ لا تَعطِفُ الجنا ؟
وسَلْ حسّان والأعشى   وشيطانيْهما عنا

« الأموي »

تركتُ ورائى الشامَ لم أنتفعْ به   ولا هو من شوقى القديم شفانى
وعدتُ الى نجدٍ أقاسى صبابتى   ووجدى كأنى مابرِحتُ مكانى
تركتُكِ ليلى فانفجرت لياليا   مؤلفةَ الأشكالِ جِدَّ حِسان

فلم يَخلُ سيْرى منك يوماً ولا السُرى
ولم يخلُ من تمثالِكِ القمران
على كل أرض من هواكِ سوارحٌ
ملأنَ سبيلى أو ملَكن عنانى

(وأجهشتُ للتوْباد حين رأيتهُ   وكبر للرحمنِ حين رآنى)
(وأذريْتُ دمعَ العينِ لماعرَفْتهُ   ونادى بأعلى صوتِهِ فدعانى)

« يدنو منه قيس ويتأمله »

« قيس : لنفسه »

يا ويحَ عينى ما ترى ؟   وويحَ أُذْنى ما تَعى !
وأين عقلى ؟ غاب عنى   اليومَ أو عقلى معى ؟
الشعر لى مُذ قلتهُ   من شفتى لم يُسمَع

من ذا الذى أوْحَى به لذا الغلام المُدَّعى ؟

« يقترب من الشاب ويأخذ فى انتقاده »

عقـــالان يمانيّانِ من وَشْيٍ وعِقيانِ
يُضيئان كلَمْحِ الشمـــس فى جلدة ثعبان
وأين الشَفَقُ الأحـــمَرُ من مطْرَفِكَ القانى ؟
وقـد تقرُب فى الروْ عةِ من أملاك غسّان
وقد تبلُغُ فى الشعـــر الى رقـــةِ حسّان
فـما شأنك ياهــذا ؟

« الأموي »

وما يَعنيكَ مِن شـانى ؟

« قيس »

أرى سارِقَ أشـعارٍ جـريئاً ما له ثانِ
فقـد يُسطَى على بيتٍ وقـد يُسرَق بيتان
ولا يَنتحل الإنسان أبيـــاتاً لإنسان
وما أنشَدْتَ من شـعرٍ فمن صنعى وإحسانى
ولم أهتفْ به بعـدُ ولم تَسمَعْه أُذنان
فمَن أنت ومِن أين أتت أُذْنيك ألحانى ؟

« الأموى »

أنا الملقى عليك الشعـــرَ مِن آنٍ الى آن
أنا الهاجس والشيطان

« قيس »

لا ، لا ، لستَ شيْطانى

« ثم يناجى نفسه »

أجلْ سمِعتُ باسم شيـــطانى ولـكن لم أرَه
أبى وأمى حـدّثا نى فى الليـــالى خبرَه

« يعود الى خطاب الأموى مترددا »

ألستَ أنت الأمويَّ ؟

« الأموى »

لا تخَفْ أن تذكرَه

« قيس »

ما أنت إلا صـــورةٌ فى عصبى مُصوَّره
وعبثٌ لو كان عقـــلى حاضرا لأنكره

« قيس ــ وهو ينكت الأرض بعود »

ويحى أقيسٌ واحد أم نحن قيسان هنا ؟
وأيُّنا الشاعر هـــذا الأمويُّ أم أنا ؟
أم الذى بى وبه من عَبَثِ السحر بنا ؟
أم أنا مجنـون علَـــىّ حبُّ ليـلى قد جنى

« الأموى »

قيس

« قيس »

لبيكَ قيس

« الأموى »

ما أنا قيس

« قيس »

من إذَن ؟

« الأموى »

قلتُ إنَّني شيطانُهْ

« قيس »

قيس من آدمٍ فما أنت منه

« الأموى »

أنا من قيس عامرٍ وجدانُهْ

« قيس »

أنت وجدانىَ ؟ استعذتُ بربى منك

« الأموى »

لا تستعذ به جلَّ شانُهْ !

هكذا شاء : كلُّ شاعرِ قومٍ عبقرىٍّ اللسان نحن لسانه

« قيس مشيحاً بوجهه ومطرقاً »

يا عجَبا أصبحَ بالجـــنِّ لســـانِى يعمُرُ !

وصرتُ ينهَى ماردٌ على فمي ويأمرُ
ما للساني لا يطولُ ؟ ما له لا يقصرُ ؟
يا ليت شعري كيف لا يخرُجُ منه الشرَرُ ؟

« الأموى – واضعا يده على كتف قيس »

عـلامَ قيس فيم أنـــت مُطرِقٌ مفكّرُ ؟
في خبري ؟

« قيس »

أجل وما صدقْتَ فيما تُخبرُ
ليـس لسـاني ماردًا إن لســاني بشَرُ

« الأموى »

قل وحدكَ الشعرَ إذنْ !

« قيس »

تظنُّني لا أقدِرُ ؟

« الأموى »

جرّب إذَن قلْ أرِنا يا قيسُ كيف تَشْعُرُ !

« قيس »

وما تُحبُّ ؟

« الأموى »

قريةُ الجنِّ وهـــذا المنظَرُ
أليـــس فيما أنت راءٍ قيسُ ما يؤثِّرُ ؟

« قيس »

إسمع إذن يا أمويُّ !

« الأموى »

إننى أنتظر

« قيس »

وجوهٌ تَصوَّرُ ، وفضاءٌ يزهرُ ، ورمال فى مطارح البصر تزخَرُ ،
وقريةٌ تموجُ بالجنِّ كأنها عَبْقَرْ !

« الأموى ضاحكا »

قـه قـه ! تعالَوْا واضحكوا !

« تضحك جماعة من الجن »

« قيس فى غضب »

قه قه . . أمِنِّى تسخَرُ ؟

« الأموى »

ما هكذا يا شاعرَ الـــبيدِ البيوتُ تُـكْسرُ

« جنى آخر »

إنك لا تَنْظِمُ يا قيس ولكنْ تنثُرُ !

« الأموى »

مالك قيسُ مُفْحَماً هذا لعمرى الحَسَرُ !
لا يُفحَمُ الشاعرُ لكن يُفحم الشُّوَيْعِرُ

مالكَ كالعُودِ الذى أدبرَ عنــه الوتَرُ ؟
مـا للقوافى الآنساتِ منــكَ قيسُ تنفرُ ؟
كيف ترى لسانَكَ الـ آن

« قيس »

عليــه حجرُ !

أنتَ على مشـــاعرى وشعرىَ المسيْطِرُ !
إن غبت غاب خاطرى وإن حضرتَ يحضُرُ

« الأموى »

الآن لا تُنكرُنِى قيسُ وكنت تُنكـــر !
عجبْتَ كيف تختفى الجنُّ وكيـــف تظهرُ
ياقيسُ هـــذا عالمٌ طِينتُه التّجـــبُّرُ
تطغَــى على رائدهــا صحْـــراؤه وتغمرُ
وغــاية المُعنِ فى نظــامِهِ التحـــيُّرُ
مهما علِمت عنــه فالذى جهِلْتَ أكـــثرُ !

« قيس »

يا أخَــا الجنِّ لئن كنتَ أخاً لى وخليلا
أنا فى أعمــاء أرض لا أرى فيهــا السبيلا

« الأُموى »

أين تبغِي قيس ؟

« قيس »

ليلى كن الى ليلى الدليلا

« الأموى »

مِلْ يميناً يا أبا المهــــدىِّ ثم امشِ قليــلا
تجـد المـنزلَ والمـا ءَ الذى يَشفى العليــلا

« ينطلق قيس آخذاً يمينه مهرولا »

المنظر الثانى

« فى حى بني ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قليل ـ ورد مضطجع»
«على الرمل وبجانبه يجلس رفيق من رفاقه ـ يقترب قيس من الخباء مناجيا نفسه »

« قيس »

إن قلبى لمخبرى أن هاتيكَ دارُها
أنا بالطائف الذى قــــرّ فيه قرارها
فى ثقيف تنقلى وثقيــــف ديارها
ما لســـاقى جَرَّتُها فتعـــابى انجرارُها
ولقلبى يقـــول لى قــد تدانى مزارُها
كيف لا أهتدى لليـــلى وفى القلب نارها

ليت ليــــلاي نُبِّئتْ أنني اليومَ جارها

« يتبين وردا وصاحبه »

عجبٌ ! هُديتُ الدارَ بعد ضلالة ما كان شيطاني عليّ كذوبا
هــذي منازلُها وذلك بعلُها بعثتْ اليّ ديارُ ليلى الطّيبا
هذا غريمي وردُ أشقر كاسمه أتراه ألبس جلدَه مقلوبا !
ما بالُه افترش الأديم كأنه بغلٌ يُعفّر في التراب جنوبا !

« رفيق ورد »

ورد أرى من المدَى القريبِ شخصاً يدبُّ نحونا كالذيب
على خُطاه خَشيةُ المُريبِ

« ورد »

لِمْ لاتقولُ حيرةُ الغريب
لعلّه ابنُ سبيلٍ يمـــرُّ بالحي مرّا
إني أراه ســـقيما يجرُّ ساقيْه جـــرا

« ينهض من رقدته قلقاً »

« الرفيق »

عرفتَ مَن هو ؟

« ورد »

قيسٌ به الغــرامُ أضرّا

« الرفيق »

قيس ؟

« ورد »

أجل

« الرفيق »

كيف أفضَى إليك ؟ كيف تجرّا

« ورد »

دعنى وقيساً وشأنى لعل فى الأمر سرّا

« ينصرف الرجل ويتلاق ورد وقيس »

« قيس »

أهذا أنت وردبنى ثَقيفٍ ؟

«ورد »

نعم والوردُ ينبتُ فى رباها

« قيس »

ولِمْ سُمِّيتَ وردا لم تُلَقّبْ بقُلاّمِ العشيرة أو غَضاها!

« ورد ــ فى سكون وحلم »

وما ضرّ الورودَ وما عليها ؟

إذا المزكومُ لم يَطعَمْ شذاها

« قيس »

(بربِّك هل ضممتَ إليك ليـلى
قُبَيْلَ الصبح أو قَبَّلتَ فاها ؟)
(وهل رفّتْ عليـك قرونُ ليـلى
رفيفَ الأُقحُوانَةِ فى نداها ؟)

« ورد — بعد فترة سكون »

نعم ولا ياقيس

« قيس »

بل لا بدَّ من لا أو نعمْ

« ورد »

هبْها نعمْ ياقيسُ هل مع الحلال من تُهَمْ ؟
المرْء لا يُسأل : هل قبّلَ أهله ؟ وكم ؟
أجـل لقـد قبّلتُها من رأسها الى القدم

« قيس غاضبا »

تلك لعمرى قُبلةُ الحُمىّ بـلاء وسقمْ !
أو قُبلةُ الذئبِ إذا الذ ئبُ على الشاة جَثَمْ

« يتراجع قليلا وكأنما يحدث نفسه »

قلبى يقول لىَ : لا ! ياصدْقَهُ فيما زعم !

« ورد »

إذن تعالَ قيسُ واسـمعْ فى أناةٍ وكرمْ

لا تجعلنَّ الغضبَ الـــجائرَ بيننا الحكَمْ
إسمع حـــديثى إنه ما خطَّ مثلَه القـــلم
وسرُّه لا الأهـــلُ يد رون به ولا الخدَم
أنا الذى ظُلِمتُ قيـــس ما أنا الذى ظلَمْ
أليَّـــةً وما علىّ لك يا قيـــس قسَمْ
كم مرَّتِ الليـــلةُ بى والليلتان لم أنم
منذُ حوت دارىَ ليـــلى ما خلوْتُ من ندَم
كانت إطافتى بها كالوثنىِّ بالصنَّم
وربما جئتُ فرا شَها فخانتنى القـــدم
كأنها لى مَحْرَمٌ وليس بيننا رَحِم
شعرُكَ ياقيسُ جنى علىّ هـذا واجترَم
هيبتَهـــا فامتنعتْ كأنها صيدُ الحرَمْ
وهبتُها للحبّ والشـــعرِ وقيسٍ والألم

« قيس »

ولكن تعالَ سَرِىَّ ثقيفٍ أبِنْ لىَ مالم تُبيِّنْ تعالَ
تقولُ لقيتَ بشعرى الشقاء وجرّ عليك بيانى الوبالا
لقــد قلتَ قولا فأوْجزتَه فبالله إلا شرحت المقالا

« ورد »

إذن . أَصغِ قيس

« قيس »

قل الصدقَ وردُ

« ورد »

وهل كان لي الصدقُ إلا خلالا

فلولاكَ ما اخترتُ إلا ثَقيفاً ولم أُلقِ للعامريّات بالا
ذهبتُ بشعركَ منذ الشبابِ أُغنّي القِصار وأروي الطِّوالا
أرى بين ألفاظِهِ ظِلَّ ليلى وألمحُ بين القوافي الخيالا
فلما رُدِدْتَ وقيل القصائد والعشقُ بين المحبّيْن حالا
خرجتُ الى حيِّها خاطبا ولم أدَّخِرْ دون مسعايَ مالا
بنيْتُ بهـــا فتهيَّبتُها وأيُّ امرئٍ هاب قبلي الحلالا
فشعرُكَ يا قيسُ أصلُ البلاء لقيتُ به وبليلى الضلالا
كساها جمـــالا فعلَّقتُها فلما التقينا كساها جلالا
إذا جئْتُها لأنالَ الحقوقَ نهتْني قَدَاستُها أن أُنالا
أمْسِكْ أبا المهدي !

« يستحيل كلامه الى همس ، إذ تبدو ليلى على باب الخباء »

أُنظُرْ هذه ليلى علينا طلعتْ من الخبا

« ثم ينادي بصوت متهدج »

ليلى تعالَيْ أسرعي ، قيسُ أتي ليلى هَناكِ ، مَنْ تحبّين هنا

« قيس »

أمازحٌ يا وردُ قل لى أنت أم تَسخَرُ منى أم تُرى تَهزَأ بنا ؟

« ورد »

بل قلتُ جِدًّا لم أقلْ مُهازلا

« قيس ـ هاما بالذهاب اليها »

إذن فدعْها لاتُجشِّمْها الخُطـا

« ورد ـ وليلى تقترب »

إسمعْ أبا المهدىّ همسَ خطوها كأنه وَطْءُ الغزال فى الحصا

دعوتُ فاهتمّتْ ولو لم أدْعُها لوَجَدَتْ ريحَكَ من أقصى مدى

قيسُ تثبّتْ واستعِدَّ ، هى ذى أتتْ ، فلا يذهبْ بلُبِّك اللقا

الآن أمضى لسبيلى

« قيس »

بل أقِمْ إلبثْ أعِنِّ ، إننى خُرتُ قُوَى

« ورد »

قيسُ أرى الموْقف لا يجمعُنا أنت حبيبُ القلب، والزوجُ أنا

يا لـكما منى ويالى منـكما ! نحن الثلاثةُ ارتطمنـا بالقضا

« ينصرف وتقبل ليلى على قيس »

« قيس »

ليلاى ، ليلى القلب

« ليلى »

قيس مالى دارتْ بى الأرضُ وساءحالى ؟

« قيس »

فداك ليلى مهجتى ومالى من السقام ومن الهزالِ
تعالىْ اشكى لى النوى تعالِى ألقِى ذراعيْك على خيالِ

« تصافحه بشوق »

« ليلى »

أحقٌ حبيبَ القلب أنت بجانبى أحلمٌ سرى أم نحن منتبهان ؟
أبعد تراب المهد من أرض عامرٍ بأرض ثقيفٍ نحن مغتربان ؟

« قيس »

حنانيْك ليلى ، ما لخلٍّ وخِلَّه من الأرض إلا حيث يجتمعان
فكلُّ بلاد قرّبتْ منك منزلى وكلُّ مكانٍ أنتِ فيه مكانى

« ليلى »

فمالى أرى خدّيك بالدمع بُلّلا أمِنْ فرَحٍ عيناكَ تبتدران

« قيس »

فداؤكِ ليلى الروحُ من شرّ حادثٍ رماكِ بهذا السُّقْم والذّوَبان

« ليلى »

ترانى إذن مهزولةً قيس ؟ حبذّا هزُالى ومَن كان الهزُالَ كسانى

« قيس »

هو الفكرُ ليلى، فيمن الفكر ؟

« ليلى »

فى الذى تجنَّى

« قيس »

كفانى مالقيتُ كفانى

« ليلى »

أأدركتَ أن السهمَ ياقيسُ واحدٌ وأنَّا كلينْا للهوى هدفان ؟

كلانا قيسُ مَذبوحٌ قتيلُ الأبِ والأمِّ
طعينان بسكِّينٍ من العادة والوهم
لقد زُوِّجتُ ممّن لم يكن ذوْقى ولا طَعْمى
ومن يكبُرُ عن سنّى ومن يصغُرُ عن علمى
غريبٌ لا من الحىِّ ولا من وَلد العمِّ
ولا ثروتُه تَربِى على مال أبى الجَمِّ
فنحن اليومَ فى بيت على ضِدَّيْن مُنضَمِّ
هو السجنُ وقد لا ينطوى السجنُ على ظلم
هو القبرُ حوى مَيْتين جارْين على الرّغم
شتيتيْن وإن لم يَبْعُدِ العظْمُ من العَظم
فان القربَ بالرُّوحِ وليس القربُ بالجسم

« قيس »

تعاليْ نعِشْ يا ليلَ في ظل قَفْرَةٍ من البيد لم تُنقَل بها قدمان

تعاليْ الى وادٍ خَليٍّ وجَدْولٍ ورنّةِ عُصفورٍ وأيْكةِ بان

تعالي الى ذكرى الصِّبا وجنونه وأحلام عيشٍ منْ دَدٍ وأمان

فكم قُبلة يا ليلَ في ميْعة الصِّبا وقبلَ الهوى ليست بذات معان

أخذْنا وأعطيْنا إذ البَهْمُ ترتعي وإذ نحن خلف البَهْم مستتران

ولم نكُ ندري يومَ ذلك ما الهوى ولا ما يعودُ القلبَ من خفقان

مُنىَ النفس ليلى قرّبي فاكِ من فمي كما لفّ مِنقاريْهما غَردان

نَذُق قُبلة لا يعرِف البؤسَ بعدها ولا السقمَ رُوحانا ولا الجسدان

فكلُّ نعيمٍ في الحياة وغبطة على شفتينا حين تلتقيان

ويخفقُ صدرانا خفوقاً كأنما مع القلب قلبٌ في الجوانح ثان

« تنفر ليلى »

« ليلى »

وكيف ؟

« قيس »

ولِمْ لا ؟

« ليلى »

لستَ يا قيسُ فاعلاً ولا لي بما تدعو إليه يدان

« قيس »

أتعصِينني يا ليلَ ؟

« ليلى »

لم أعصِ آمري ولكنّ صوتاً في الضمير نهاني

وورد ُ يا قيس ؟ وردٌ ما حفَلتَ به

لقد ذَهلتَ فلم تجـــعلْ له شانا

« قيس : غاضبا »

تعنين زوجَكِ ياليلى

« ليلى : منكسة رأسها »

نعم

« قيس »

ومتى أحببْتِ وردا ؟ ترُى أحببتهِ الآنا !

« ليلى »

فيمَ انفجارُكَ ؟

« قيس »

من كيدٍ فُجِئْتُ به

« ليلى »

إنى أراكَ أبا المهدى غيْرانا

وردٌ هو الزوجُ ، فاعلمْ قيسُ أن له

حقاً علىّ أؤدّيه وسـلطانا

« قيس »

إذن تحابيتما ؟

« ليلى »

بل أنت تظلمنى فما أحبَّ سواكَ القلبُ إنسانا

ولستُ بارحــةً من داره أبدا
حتى يُسرِّحنى فضــــــلا و إحسانا
نحن الحرائرَ إن مال الزمانُ بنــا
لم نشــــــكُ الا إلى الرحمن بلوانا

« قيس »

بل تذهبين معى !

« ليلى »

لا ، لا أخونُ له عهداً ، فما حادعن عهدى ولا خانا
فتًى كنبْع الصفا لم يختلفْ حلُقاً
ولا تلوّنَ كالفتيــــــان ألوانا

« قيس : متهكماً »

أراكِ فى حبِّ وردٍ جِدَّ صــادقةٍ
وكان حبُّكِ لى زوراً و بهتــــــانا

« ليلى »

قيس !

« قيس : صارخاً »

اتركينى بلادُ الله واسعةٌ ! غداً أبدّلُ أحبابا وأوطانا

« يحاول أن يتركها فتمسك به ليلى »

« ليلى »

العقلَ ياقيس !

« قيس »

لا خَلِّى الرداءَ دعى

« ثم يفلت منها ويندفع الى سبيله »
« تاركا اياها باكية فى هيئة استعطاف »

« ليلى »

وارحمتاه لقيسٍ عاد ما كانا!

واهاً لقيسٍ وآهٍ ما صنعا ؟ آ كثَرَ قيسٌ بلواىَ والوجعا

« تدخل عفراء »

عفراء عندى

« عفراء »

لبّيْكِ سيدتى الصبرَ واستدفعى به الجزعا

« ليلى »

لقد سمعتِ الحديث كيف إذن
صبرى على ما جرى وما وقعا؟

قلتُ لقيس مقالَ مشفقةٍ لم يُلقِ بالاً له ولا سمِعا
وقيسُ ذو جِنَّةٍ وإن زعموا جنونَه مدَّعًى ومصطنعا
تحير الناسُ فى جنون فتىً لا عقلَ الا بشعره ولِعا
واللهِ لو جاء فى محاسنةٍ يسألُ وردَ الطلاقَ مامنعا

فوردُ يا عفرَ لا كِفاءَ له مروءةً فى الرجال أو ورعا
آه من من السُّقم

« عفراء »

ألفَ عافيةٍ

« ليلى »

آه من الحادثاتِ

« عفراء »

ألفَ لعَا

« ليلى »

أنا عُذريَّة الهوى أحملُ العبْء وإن ناءَ بالصبابة جهدى
المحبّات ما بكيْن كدمعى فى الليالى ولا أرِقن كسُهدى
ويح قيسٍ وويحَ لى أى ثارٍ للمقادير عند قيسٍ وعندى
أتعب الحىَّ داء قيسٍ ودائى وتعايى الدواء كُهَّانَ نجد
لا الحواميمُ تَصرِفُ الجنّ عنا حين تُتلى ولا رُقى السحر تُجدى
أبقيسٍ وبى هوى عبقرىٌّ يَسلُبُ العقلَ من ذويه ويُردى
علَّةُ البيد من قديمٍ وداء ضاعَ فيه الرُّقى وحار المُفدَّى
ما سلاحاه حين يقتلُ إلا من عفافٍ ومن وفاء بعهد
لم تُعَذَّبْ بالحب عذراء قبلى كعذابى ولن تُعذَّبَ بعدى

« عفراء »

هي عذراء ؟ ربيَ اشهدْ !

« ليلى »

أجلْ عذراء حتى يضمّني ركنُ لحدى

« عفراء »

والذى أنتِ تحتَه ؟

« ليلى »

تحت بعلٍ غيرِ ذى جفوةٍ ولا مستبدّ

راعنى اللومُ من جميع النواحى فتواريْتُ فى مُروءةِ « ورد »

« يقبل ورد وقد سمع آخر ما كانت تقول »

ربِّ ماذا سمعت ؟ ليلى شكورٌ لك نفسى الفِداء يابنتَ « مهدى »

« ليلى »

ورد

« ورد »

ليلى

« ليلى »

رُحماكَ وردُ وعفوا

كنتُ أخفى الجوى فأصبحتُ أُبدى

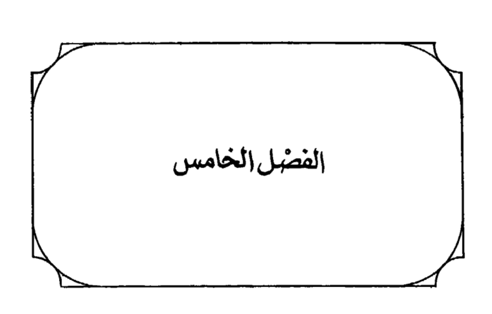
« ورد »

ما بليـلى ؟ ماذا أثاركِ ليـلى ؟ هدِّئى روْعَكِ المُفزّعَ هدِّى

« ليلى »

الداء يا وردُ فىّ مجتهد ملتهمٌ هيكلى وما شبعا
أصبحتُ لا أشتهى الطعامَ ولا
يَحمَدُ جنبى الىّ مضطجَعا
قلبى من اليأس حين حلّ به أحسُّ يا وردُ أنه انصدعا
لم يحملِ اليأسَ ساعةً ولقد كان بما حمَّلوه مضطلعا
المتمنى بالعيش منتفِعٌ ولن ترى يائساً به انتفعا
القدرُ اليومَ والقضاء على
حربكَ قيسُ وحربىَ اجتمعا

ستار



الفصل الخامس

«مقابر على سفح جبل التوباد فى طريق عام على مقربة من حى بنى عامر يبدو»
« من بينها قبر جديد مازال أشخاص من الحى يهيلون عليه التراب ويضعون »
« الأحجار، ومن حوله كثير من رجال الحى وفتيانه وصغاره يرى بينهم المهدى »
« وورد وكلهم باك أو حزين ـ يبدأ المشيعون فى الانصراف وهم يعزون المهدى »
« ويصافحونه واحداً بعد واحد ويمرون على ورد مرورا »

« معز »

إنا لله أبا ليلى

« آخر »

صبرٌ أبا ليلى جميل

« فى أثناء انصرافهم يمر رجل فى الطريق »
« فيسأل صبياً من صبيان الحى فى ناحية »

«المـار»

قبرُ مَنْ يا صبى ؟

« الصبى »

قبرُها يا أبى

« المار »

إمرأةٌ ؟

« الصبي »

نعم

« المار »

ومَن تكونُ ؟

« الصبي مشيرا الى المهدى »

بنتُ ذا الرجلْ

ليلى ابنةُ المهدِى ألستَ من نجدِ ؟

« صبي آخر »

أجلْ قد دُفنتْ ليلى وما جفّ لها لَحدُ

وذا الشيخ أبو ليلى وذا صاحبُها وردُ

هنا الوالدُ والزوجُ

« المار »

وقيسٌ !

« الصبي »

لم يجىءْ بعدُ

« يقترب الرجل من المهدى فيعزيه »

« المار »

مَهْدِئْ أجملْ جزعا

« معز »

يا أبا ليلى جمالَكْ

« آخر »

عزاءً أبا ليلى

« آخر »

عزاءً أبا ليلى

« آخر »

صبرٌ أبا ليلى جميل

« صديق من أصدقاء ورد هامسا إليه »

لقد أحسنتَ ياوردُ وما للناس إحسان
يُعزُّون أبا ليلى وما عزّاك إنسان
بل انظُرْ ترَهم أقسى عليك اليوم ما كانوا
على الأوجُه بغضاء وفى الأعيُن عُدوان

« ورد »

مهلاً أخي وانظُرْ الى النـــاس بعين مُنصفِ
هم يأخذون مابدا ويتركون ماخفِي

ظنُّ الجماعات فىَّ سوءٌ ورأيُهم فىَّ ما أصابا
يرَوْن أنى عدُوُّ قيسٍ أخذتُ ليلى منه اغتصابا
وزدتُ نفسيْهما شقاءً وزدتُ قلبيْهما عذابا
ليسألِ الناس قبر ليلى فإن فى قبرها الجوابا

« يلتفت الى المهدى بعد أن يعزيه آخر معز »

تجمّلْ أبا ليلى

« المهدى ــ مصافحا إياه »

تجمّلت طاقتى ولستُ بخوّارٍ قليل التجلُّدِ
تحمّلتُ فُضولَ الناس ياوردُ حقْبةً إذا قمتُ من باغٍ عثَرتُ بمعتدِ
يعيثون فى عرضى فمن كل معوِلٍ ومن كل مقراضٍ ومن كل مبرَد
وهذا يحيّينى ويقطعُ فرْوتى وهذا يُفدّينى ويهدِمُ سؤددى
ويا وردُ لو لم تُرْخ ستراً على ابنتى لظلّتْ بعرضٍ فى البوادى مُبدَّد

حفِظتَ ابنتى حفظ الشقيق ومرّضتْ
ببيتك تمريض الصغير المُمهَّد
وصيّرت ليلى فى حماكَ وخدرها كعذراء ديرٍ أو كدُمْية معبد
لقد صنتها ياوردُ فاذهبْ فما أنا بناسٍ لك المعروف أو جاحد اليد
وليلى فتاةٌ حُرةٌ بنتُ حرّةٍ أحبتْ غلاماً سيّدا وابنَ سيّد

وأعلمُ أنى كنتُ حربَ هواهُما　　وكنتُ معَ الواشى وعَوْنَ المفنّد

« يلتفت الى القبر باكيا »

بظل الله ياليلى

« ورد »

وفى بحبوحة الخُـلْدِ

وهذا نَجدُ ياليـلى　　فنامى فى ثرى نجدِ

« يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر »
« الغريض المغنى والشاعر ابن سعيد وأمية وسعد »

« الغريض »

دنا الحىُّ يابن سَعيدٍ وثمّ

« ابن سعيد »

وماثَمّ ؟

« الغريض »

أُنظر يُجبْــك النظرْ

« ابن سعيد »

قبورٌ ؟

« الغريض »

أجل عارضَتْنا القبور　　وعمــا قليل نُجيزُ الحفَرْ

« ابن سعيد »

وهل نحن إلا على حفْرَةٍ　　هى الأرضُ أوهى قبر البشر

محجّبةٌ بغرور الحيــاة يراها إذا غرغر المحتضَر

غريضُ : بصُرتُ بقــبرٍ جـديد

« الغريض »

وماذا ســوى الموت فى ذا العَفَرْ ؟

« ابن سعيد »

أخٌ كان يملأُ أمسِ الهواء ويحيا الحياةَ ويجرى العُمُرْ

نزيلٌ لعمرى غريبُ الغِطــــاء

غريبُ الوِطــاء غريبُ الحُجَرْ

لدى منزلٍ كبيوتِ الكِرَاء مرارا خلا ومراراً عَمَرْ

يُزارُ كثيراً فدون الكثير فغِبّاً فيُنسى كأن لم يزَرْ

وليس بنافعه الواصلون وليس بضائره من هجَرَ

فياميْتَ أمسِ عدتْكَ الرياحُ

وحيَّاكَ فى الفترَاتِ المطر

وأمسِ كعادٍ وإن كان منكَ

مُطيفَ الخيال قريبَ الصُّوَر

لقد نفض الليلُ منك اليــدين

وأدركَ فيــــك النهارُ الوَطَر

وأمسيتَ تحت لواء التراب

قهرتَ القضاء ودِنتَ القــدر

تلفّتْ وراءكَ أين الغرورُ ... وأين السرورُ وأين الأشَرَ
وأين مَعالِمُ عُرْسِ الحياة ... وأين سنا ليله المزدَهِر
وأين شبابٌ كحُلْمِ العروسِ
ضَحوكُ العشيّاتِ طَلْقُ البُكَر
وأين العداواتُ من سافرٍ ... مُبينٍ ومن كاشحٍ مُستتِر
وأين المودّاتُ من صُحبةٍ ... كنحلٍ يَحُمْنَ وأنت الزَّهَر
قليلون عندامتناعِ القِطافِ ... كثيرون عند رجاء الثمر
وكم مَن سَقيتَ بشَهْدِ الوداد ... فلم يَجْزِ الا بصابِ الإِبَر
فذُقْ سِنةً لا كَكُلِّ السِّنات
ونَمْ ليلةً ما لها من سَحَر
وقُل للصديقِ طوَيْنَا الحديثَ
وقلْ للعدوِّ دَفَنَّا الخبر
وهيِّىءْ مكانيهِما فى الترابِ ... فإن ركابَهما منتظَر

« سعد »

أميةُ ماذا ترى فى الغريض؟

« أمية »

وماذا أرى فى أميرِ الطربْ؟

« سعد »

لقد علِم الناسُ أن الغريضَ
مُغَنِّى الحِجازِ وشادى العربْ
ولكن...

« أمية »

وماذا وراء « ولكن ؟ » فمن شأنها أن تُثيرَ الرِّيَب

« سعد »

أميّ اخفِض الصوتَ لا يسمعَنَّ
فيغضبَ فهو قريبُ الغضب
وأُذْنُ المغنى تُحسُّ النســــيمَ
وتسمعُ فى الكأسِ رقصَ الحبَب
أميّةُ إنى أخافُ الغَريضَ وإن التَّطَيُّرَ بى قد ذهب

« أمية »

وأين تَرى الشؤمَ حولَ الغريض
- وكيف ؟

« سعد »

رُويدكَ تَدرِ السبب
أليس الغريضُ يَهيجُ البكاء
فلو رام دمعَ العروسِ انسكب

ترعرع فى بيئةِ النائحاتِ وعلّمنه النّدبَ حتى نَدَبْ
ينوحُ بيثربَ آلَ الرسولِ
ويُذكِى مآتمَ أهلِ الحسَبْ

« أمية »

وأين يدُ الشؤمِ مما ذكرتَ
وأىّ بلاء علينــــــا جلَبْ
وما هو الا مُغنّى الحيـاةِ بناحيتيها الأسى والطرب

« سعد »

ولـكننا قاصـدو عامرٍ لنقضى َحقًّا لقِيسٍ وجب
ونسـألَ عن عاشقٍ فى الديارِ
طويلِ البـلاء ثقيل الوَصَبْ
ومن زار بالنـائحـات المريضَ
وأهلَ المريضِ أضـاع الأدب

« يتهيأ الغريض للغناء »

هو ذا هـــــاج شجُوه هو ذا يُرسـلُ النَغَمْ
هـاتفٌ من نُواحِهِ رنّ فى القـاعِ والأَكَمْ
هو فى كلّ خـــاطرٍ وفؤادٍ صَـــدَى الألم

« أنشودة الغريض »

وادىَ الموتســـلامُ وســـقَى القاعَ الغمامُ
السماء القُـدْسُ مِحرابُك والأرضُ الحــــرامُ

أنتَ في الصَّمتِ مُبينٌ ومن الصَّـمتِ كلامُ
لم يَمتْ أهلُك لكن غشِيَ الليـــلُ فناموا
غُيَّبٌ لم ندر مـــا صاروا ولا أين أقاموا

« يخرجون الى ناحية الحي من حيث يسمع آخر »
« الأ نشودة ثم يدخل من الجانب الآخر على »
« أثر اختفائهم ، قيس وزياد »

« قيس »

جبلَ التَّوْباد حيَّاك الحيا وسقى اللهُ صبـــانا ورعى
فيكَ ناغيْنا الهوى في مهده ورضَعْناه فكنتَ المُرضِعا
وحَدَوْنا الشمسَ في مَغربها وبكَرْنا فسبقنا المَطلَعا
وعلى سفحك عشنـا زمنا ورعينا غنمَ الأهل معا

هـذه الرّبوةُ كانت ملعباً لشبـابينا وكانت مَرْتعا
كم بنيْنا من حصاها أربُعاً وانثنينـــا فمحونا الأربُعا
وخططْنا في نقا الرمل فلم تحفَظِ الريحُ ولا الرملُ وعى
لم تزَلْ ليلى بعيني طفـلةً لم تزِد عن أمسِ إلا إصبَعا
ما لأحجاركَ صُمّاً كلما هاج بي الشوقُ أبتْ أن تسمعا
كلما جئتُكَ راجعتُ الصِّبـا فأبتْ أيامُه أن ترجعـا
قد يهونُ العمرُ إلا ساعةً وتهونُ الأرضُ إلا موْضعا

« يظهر بشر قادما الى المقبرة من ناحية الحى »

« بشر »

عـــــــزاءً قيسُ !

« قيس »

مَنْ ؟ بشرٌ ؟

« بشر »

أجلْ

« قيس »

فيمنْ تُعزِّينى ؟

أنا الميِّتُ يا بشرُ وإن أخِّرَ تكفينى

« يضطرب بشر وقد أدرك جهل قيس »
« وحرج الموقف ثم يميل هامسا الى زياد »

« بشر »

يجهَلُ قيسٌ موتَها ولم أخَلْ أن يجهلَهْ
ويْحَ له وويْحَ لى ! ماذا عسى أقولُ لهْ
إن الحبيبَ نعيُــهُ الى المحب مُعضلهْ
إنى أخاف إن أنا حبَّرتُهُ أن أقتُلَه

« قيس »

بشرُ

« بشر »

لبّيك قيسُ

« قيس »

من أين يابشرُ ؟

« بشر »

من الحىّ

« قيس »

ماحوادثُ عامرْ ؟

كيف أمى يابشر ؟

« بشر »

برّحها الشوق

« قيس »

وأهلى . .

« بشر »

حنينهم متكاثر

« قيس »

ولِداتى من فتيةٍ وعذارى ؟

« بشر »

كلُّهم شيِّقٌ لعهدك ذا كر

« قيس »

كيف بيتٌ لنا بمدرَجةِ الريح

ونادٍ على النجوم وسامرِ ؟

والنخيلاتُ كيف خلّفتَها بشر ؟

« بشر »

كما هن باسقاتٌ نواضر

« قيس »

ومِهاري التي تركتُ صِغاراً ؟

« بشر »

كبِرت قيسُ فهي جُردٌ ضوامر

« قيس »

عزّت البيدُ ، تُنبتُ السابق الفذَّ

وتأتي بفارس وبشاعر !

« يضطرب بشر »

ويح بشرٍ ماذا به ؟

« بشر »

قيس !

« قيس »

بشرٌ !

أنت فى نفسكَ الخفيّةِ ثائر

تُشْبِهُ الحزنَ والبكى نبَراتٌ

لك كانت كضاحكات المزاهر

« بشر — الى نفسه ثم الى قيس »

ربِّ ماذا أُجيب ؟ لاشىءَ ياقيس ..

« قيس »

بل الحزنُ فى مُحيّاك ظاهر

ولقد راعنى لك اليوم جِدٌّ

من خليعِ العِذار بالأمسِ سادِر

« تغرورق عينا بشر بالدموع »

ماجرى؟ ماالذى أثارك يابنَ العم؟

ماهذه الدموعُ البوادر ؟

« بشر »

قيس لا شىءَ

« قيس »

بل كتمتَ جليلاً

هذه وَجْمةُ النَّعِيّ المحاذر !

« بشر »

قيس . .

« قيس »

لا ، لاَتجمْ ولا تُخفِ شيئا
أنا يابشرُ بالفجيعةِ شاعر

خُلِجتْ قبل نلتقي عيىَ اليسرى
ورِيعَ الفؤادُ روْعةَ طائر

« بشر »

أعفِنِى ! أعفِنِى ! بربك ما أنت
على ما أقوله لك قادر !

« قيس »

أماتت ؟

« بشر »

أجل قضتْ أمسِ . .

« قيس — وهو يغمى عليه »

والبلاه !

« بشر »

لله — ما أشدَّ القادر !

« يمضى بشر فى سبيله »

« زياد – مقتربا من قيس »

هو مغمىٌّ عليه ربِّ أيصحو ؟ هل لهذا العذاب يارب آخر ؟

« يصحو قيس »

« زياد »

تباركتَ يا ربِّ قيسٌ أفاق ؟ صحتْ عينُه وصحا المسمعُ !
رجعْتَ لنا قيس

« قيس »

هيهاتَ هيهات !
من كان فى النَّزْع لا يرجِعُ

لقد بقيتْ خفقةٌ فى السراج سيلفظُها ثم لا يسْطع
زيادُ غداً يلتقى الموجَعون وموعِدنا ذلك البلقع !

« يشير الى المقابر »

عرَفتُ القبورَ بعَرْف الرياح ودلَّ على نفسه المَوْضعُ
كثكلى تلَمَّسُ قبرَ ابنها الى القبر من نفسها تُدْفع
هداها خيالُ ابنها فاهتدت وليلى الخيالُ الذى أتبَع
لنا اللهُ يا قلب ! ليلاك لا تجيبُ وليلاى لا تسمع !
فُجِعنا بليلى ولم نك نحسَبُ يا قلبُ أنا بها نُفجع

« يقترب الى القبر باكياً فيكب بوجهه على حجر من أحجاره »

أَعينىَّ هذا مكانُ البكاء وهذا مسيلُك يا أدمعُ !
هنا جسمُ ليلى هنا رسمُها هنا رَمقى فى الثرى المودَع

هنا فمُ ليلى الزَّكىُّ الضحو كُ يكادُ وراء البلى يلمعُ
هنا سِحرُ جفنٍ عفّاه التراب وكان الرُّقى فيه لا تنفع
هنا من شبابى كتابٌ طواه وليس بناشره البلقع
هنا الحادثاتُ ، هنا الأمل الحلوُ ياليلَ ، والألمُ المُمتع
طريدَ المقادير هل مَن يُجيرُ كَ منها سوى الموتِ أو يمنع ؟
تذلُّ الحياةُ لسلطانها وللموت سلطانُها يخضعُ
طَريدَ الحياةِ ألا تستقرُّ ألا تستريحُ ، ألا تهجَع ؟
بَلى قد بلغتَ الى مفزَعٍ وهذا الترابُ هو المَفزَع

« يظهر الأموى شيطانه من بعيد ويناديه »

« الأموى »

قيسُ

« قيس »

مَن الهاتفُ من نادَى الشريدَ المُطّرَحْ

« الأموى »

أنا الذى أوْحى إليكَ حُبَّ ليلى واقترَحْ

« قيس »

إذهبْ وإن لم أدْرِ رُوحٌ أنت أم أنت شبَحْ
إذهبْ فلستَ صالحاً وأىُّ شيطانٍ صلَحْ
كنتَ قرينَ السوء لى وكنتَ شرَّ من نَصحْ .

لولاك ما بُحتُ بما خدّش ليلى وجَرَح
كأنه فى عِرضها زيتٌ على الثوب سَرَح

« الأموى »

أفقْ قيسُ

« قيس »

سِرْ خَلِّنى ياخيال ومَنْ بالخيال لمن لم ينَمْ

« الأموى »

حنانيكَ قيسُ أقِلَّ العتابَ ولا تَسكبنَّ دموعَ الندمْ
تفرّدْتَ بالألم العبقرىِّ وأنبغُ ما فى الحياة الألم
مُريبُك ياقيسُ فوق التراب وأنت مع النَّجمِ فوق التُّهَم
أخذتَ سبيلَك نحو الخلود وليس الخلودُ سبيلَ الأُمَم
قُم اهتِف بليلى وشَبِّبْ بها وخَلِّ التقاليدَ وانسَ الحُرَم
وطِرْ فى الهواء طليقَ الجناح وسِرْ فى الأديم طليقَ القدم
فلو أنصفَ الناسُ خَلَّوْا كما كتَرْكِ الوفود حَمَامَ الحَرَمْ
قُم ابسُطْ جناحَك فوقَ القِفار وطِرْ فى الوهاد، وقَعْ فى الأكم
وأترِعْ من الوتر العبقرىِّ سَماءَ القصور وأرضَ الخيَم
وأَلِّفْ على الحب شتىّ القلوب وأرسِلْ بسرِّ الجمال النغم
تَغَنَّ بليلى وبُحْ بالغرام وبُثَّ الصبابةَ واشكُ السَّقم
فلا خيرَ فى الحب حتى يَذيعَ ولا خيرَ فى الزهر حتى ينِمْ

« قيس »

أقوم ؟ . . . . هات قدَما

أقول ؟ . . . . أعطنى فما

أما ترانى هيكلاً محطَّماً مُهدَّما !

« يختفى الشيطان ويستمر قيس »

يا رَبَّ قيس هل نعيتُ وهل جرتْ كأسٌ تدورُ على النفوس مَشاعُ

أوْ لا فما بالى أنوءُ بهيكل للموت فيه وللحياة صراع؟

اليومَ آذننا القضــــاء بحكمه ما لى ولا لك يا حياةُ دفاع

راجعت فى الموت الحياةَ وعادنى فى النزْع يا ليلى اليك نِزاع

كيف الوَداعُ من الحياة ولم يُتَحْ لىَ منك يا ليلى الغداةَ وَداع

هيهات لم تعدِمْ شذاكِ قرارة حولى ولم يَعدِمْ سناكِ يفَاع

وعلى سماء البيد منكِ بشاشةٌ وعلى رمال البيد منكِ شُعاع

وكأن كل ضبابةٍ دونَ الضحى قسَماتُ وجهك دونهن قناع

« يمر به ظبى سارح فيتأمله قليلا ويناجيه »

يا ظبى بَكَّ من افتداكَ بماله

إذ أنت عانٍ تُشترَى وتُباع

وأباح طفلك ماءَه وطعامَه إذ هنَّ عَطْشَى بالفلاة جياع

يا قاعُ كن نعشى وكن كفَنى وكن

قــــــبرى وقُمْ فى مأتمى يا قاع

واجمعْ لتشييعي الظِّباءَ ، ومَنْ رأى
مَيْتاً بأسرابِ الظباء يُشــاع
أتُرى أموتُ كما حييت مُشرَّداً
لا الأهلُ من حولي ولا الأتباعُ
وأبيتُ وحدي لا الوحوشُ أوانسٌ
حولي هناك ولا الظباءُ رِتاع؟

« تتخاذل سيقان قيس فيتلقاه زياد ويظهر »
« ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعا باكياً »

« زياد »

قيسُ لا بأسَ عليكْ أنا ذا بين يديكْ

« قيس »

نفسُ اطمئني الآن لستُ وحـدي
قد حضَر الذي يَخُط لحــدي
ويُرشِدُ الحيَّ الى بَعدي زيادُ أنتَ المُشفِقُ المُفَدّى
لم أنفرِدْ إلا رُئيتَ عندي

« بتبين شبح ابن ذريح »

زيادُ ما ذاك منــذا يبــكي وراءَ الضريحِ
إني أغارُ على القــبر من غريبِ الجُروحِ

« زياد »

لا تخشَ يا قيسُ منـه فإنه ابنُ ذَريحِ

« ابن ذريح »

يا ليلَ قبرُكِ رَبوةُ الخُلْدِ نفَحَ النعيمُ بها ثرى نجدِ
فى كل ناحيةٍ أرى مَلَـكا يتنفســون تنفُّسَ الورد
لبِسوا الجُمانَ الرَّطْبَ أجنحةً
وتناثروا كتناثُرِ العِقـــــد
وتقابلوا فعـــلى تحيّتهم مِسْكُ السلام وعَنبرُ الرد
وكأن نجواهم وسُـــبحَتَهم
صَوْبُ الغمامة أو صَـدَى الرعد

نفحاتُ طِيبٍ ههنا وهنا ما للرياض بهن من عهد
يا قيسُ صبرا ههنا مَلَكٌ ذِبْحُ الصبابة مُشْهَدُ الوجـد
أصحُ انتبِهْ واطرَحْ بعينك فى بَهَجِ السماءِ وحُسْنِ ما تبدى

« قيس »

أين السماء وأين مُحْتَضَرٌ طلَعتْ عليه الأرضُ باللَّحْد
السهدُ عذّبنى وذى سِنَةٌ أجِـدُ الشـفاءَ بها من السُّهد
ولقـد أقولُ لمن يُبَشِّرُنى بالخُلد ما أنا داخلٌ وحـدى
لو أن ليــلى فى النعيم معى أو في الجحيم تساويا عندى

ليلى النعيمُ وقـد ظفِرت بها فاليوم تَرقُدُ فى ثرى نجـد
إنى أحبُّ وإن شقِيتُ به وطنى وأوثِرهُ علـى الخُلد

« يسمع صوتا ضئيلا كأنما هو خارج من القبر »

« الصوت »

قيس

« قيس »

مَن الصوتُ ويحى أبى سِحرُ

« الصوت »

قيس

« قيس »

زيادُ اسمعْ وأصغِ يابِشرُ

« الصوت »

قيس

« قيس »

سمعتُ اسمى يلفِظُه القبرُ

« الصوت »

قيس

« قيس »

تنادينى من قبرها باسمى
لبّيْكِ ياليـلى بالروح والجسم

« يدخل فى دور الاحتضار الأخير »

هل أَسا الموتُ جِراحيْنا وهل   قرّب الدارَ وهل لمّ الشتاتْ ؟

« أصوات »

قيس ، ليلى

« قيس »

رَنّةٌ فى أُذُنى   ردّدتْ قيسَ وليلى الفلَواتْ

نحن فى الدنيا وإن لم تَرنا   لم تمُتْ ليلى ولا المجنونُ ماتْ

ستار الختام

قـام على تحقـيـق هـذه الـطـبـعـة لـغـويـاً وعـروضـيـاً
سعـــد درويـــش

وراجعها
الدكتور عز الدين إسماعيل

قام بتصميم الغلاف والإخراج الفنى : سعـد عبـد الوهـاب



الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٤٦٢ / ٨٢

ISBN ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٥٠٩١ ـ ٩

مجنون ليلى

٧٥ قرشـ